



مركز خنساء فلسطين
للدراسات والإبداع

الإصدار الأول

قطوف من الشعر والحكمة

إعداد فضيلة الشيخ
أ. عمر فورة

قطوف من
الشعر والحكمة

2012

فريق العمل

إعداد وجمع فضيلة الشيخ

أ. عمر فورة



تدقيق ومراجعة لغوية

آمنة حميد

تصميم الغلاف وإخراج فني

سائد حسونه

إدخال للحاسوب

هناء العجرمي

إشراف عام

أ. وليد حلس

الكتاب: قطوف من الشعر والحكمة.

الناشر: مركز خنساء فلسطين للدراسات والإبداع.

الطبعة: الأولى.

سنة النشر: ربيع الأول 1433م/ فبراير-شباط 2012م.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

(سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥)

مُقَدِّمَة

الحمد لله على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان وأسبغت من العطاء وأسبلت من الغطاء، اللهم واعضدنا بالإعانة على الإبانة، اللهم إنا نعوذ بك من غوائل الزخرفة ونعوذ بك من الافتتان بإطراء المادح وهتك الفاضح واغطاء المسامح.. اللهم هب لنا توفيقا إلى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق وهب لنا ألسنة تتحلى بالصدق وأيدنا اللهم بالحجة البالغة فلا نجني مأثمة ولا نقف مندمة تولنا فيمن توليت يا ذا العلا، **أما بعد..**

لقد كان لسان العرب أفضل الألسنة وقد كانت لغتهم أجمل وأروع اللغات لذلك اصطفى الله ﷻ هذا اللسان وهذه اللغة لنزول كتابه الكريم، ولقد كان الشعر أقصر اللغة للوصول إلى القلب والاستقرار فيه والمُعَبر له عن روائع البيان بعدما أعلن التعبير عن التقصير، فهو ديوانها المثقف لأخبارها وأيامها وحكمها؛ والشعر متعدد الأغراض متجانس المعاني والألفاظ. لذلك اخترنا أن نجمع لكم جملة من الأشعار التي أجمع الرواة على تفضيلها وآثرَ الناس على تضمينها كلامهم وخطبهم.

فالكلام بلا نحوٍ وشعرٍ كالطعام بلا ملح وكالظلام بلا صبح، والصلاة والسلام على من أتيَ جوامع الكلم، أشهد أنك يا رب ختمت به النبيين وأعليت درجته في عليين.

يا رب صلي وسلم على النبي المصطفى ما لاحَ برقٌ في الأباطحِ أو قبأ

يا رب صلي وسلم على النبي المصطفى ما قالَ ذو كرمٍ لضيفٍ مرحباً

فيا دعاة الإسلام أثروا إذا خطبتم.. أحيوا القلوب.. حركوا المشاعر فمن لم يحرك المشاعر فليس بشاعر.

الأستاذ الشيخ

عمـــر فـــورة



(أ)

فضل الشعر والطيّب من القول

قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي * أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، (سورة إبراهيم:٢٤-٢٥)، وقال ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، (سورة إبراهيم:٢٧).

فهو الرحمن الذي علم القرآن وهو الذي علم البيان وذكرنا الله ﷻ بإنعامه علينا فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ﴾، (سورة البلد:٨-٩).

ويقول الرسول ﷺ: ﴿إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحِكْمَة﴾.

لقد اختار العرب صفوة إنتاجهم الأدبي من الشعر وعلقوه على أستار الكعبة فسمي بالمعلقات وأقر القاصي والداني بهذا الإبداع.

وكان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يوصي أولاده، فيقول لهم: **"يا أولادي تعلموا علم الكلام فإنه أعظم من علم المال فإن المال إن احتجته استلفته، ولكن علم اللسان إن احتجته فلا تستلفه".**

أيها الأعزاء الكرام.. نقدم لكم هذه الباقة من بضاعتنا؛ لكم غنمها، وعليّنا غرمها، فإنا نزفها إليكم من بنات أفكارنا وحفظنا، فإن صادفت قبولا فإمساك بمعروف، وإن لم تصادف قبولا فتسريحا بإحسان والله المستعان وعليه الاتكال.

أخيَّ إن البرَ شيءٌ هينٌ   **وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لينٌ**

(ب)

فضل الشعر في نشر الدعوة

لقد سمي العام التاسع للهجرة بعام الوفود، ففي هذا العام جاء وفد بني تميم فيهم (قيس بن عاصم) سيدهم و(الأقرع بن حابس) و(عطارد بن حاجب بن زرارة) وغيرهم، ومعهم شاعرهم (الزبرقان بن بدر) و(خطيبهم عطارد)، فلما علم الرسول ﷺ بقدومهم، وهم أكبر قبيلة عربية، حيث أنه ﷺ كان يتمنى إسلام بني تميم، فنادى رسول الله ﷺ (حسان بن ثابت رضي الله عنه)، ونادى (قيس بن شماس رضي الله عنه) خطيباً.

قال رسول الله ﷺ: ﴿يا حسان إن القوم معهم شاعرهم وسترد عليه فادعوا الله عز وجل أن يؤيدك بروح القدس﴾، فأخرج حسان لسانه ووضعه على أرنبة أنفه، وقال: ﴿يا رسول الله هذا اللسان وإن سلطته على رأس حلقته، وإن سلطته على حجر فلقته﴾، فضحك رسول الله ﷺ.

دخل الوفد المسجد وأخذوا ينادوا على رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، أن اخرج إلينا فتأذى رسول الله ﷺ من صياحهم فقالوا: "يا محمد جئناك نفاخرك، فإذن لشاعرنا وخطيبنا"، فقال رسول الله ﷺ: ﴿أذنت لخطيبكم فليقل﴾، فقام خطيبهم (عطارد بن حاجب)، فقال: "الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنة، وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما، نفعل فيها المعروف وجعلنا أهل الشرق وأكثره عددا وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس وأولى فضلهم؟، فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك، أقول هذا لأن تأتوا

بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا"، ثم جلس (قيس بن شماس ﷺ) خطيب رسول الله ﷺ يستمع، فقال له الرسول ﷺ: ﴿قم، فأجب الرجل في خطبته﴾، فقام وقال:

"الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمرا ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى منا خير خلقه رسولا أكرمه نسبا، وأصدقه حديثا، وأفضله حبا، فأنزل عليه كتابه دعى الناس إلى الإيمان فآمن به أكرم الناس حبا وأحسنهم وجوها فنحن أنصار الله ﷻ، ووزراء رسوله ﷺ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ﷻ، فمن آمن منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله ﷻ أبدا وكان قتله علينا يسيرا، أقول قولي هذا وأستغفر الله ﷻ لي وللمؤمنين والمؤمنات.. والسلام عليكم".

ثم قام (الزبرقان بن بدر) شاعر بني تميم يفخر بقومه، فقال:

نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تُنْصَبُ البيَعُ

كم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النِّهابِ وفضلُ العزّ يتّبُعُ

ونحن يطعِمُ عند القحط مطعمُنا ... من الشواء إذا لم يؤنَس القزَعُ

إذا أبينا ولا يأبى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

هذا الكلام يأتي ضمن غرض من أغراض الشعر، وهو الفخر وقد قال الزبرقان خمسين بيتاً، وحسان يستمع ويجهز فوراً ردا لكل بيت. و"البيع" هنا أماكن العبادة للنصارى ويقصد فيها نحن سادة الدنيا فنحن ملوكها وسادة الدين منا؛ الرهبان والقساوسة ويفتخر أن قومه يطعمون الناس إذا أجذبت السماء وجاء "القزع" وهو السحاب الذي لا مطر فيه.

هنا قال رسول الله ﷺ لحسان ﷺ: ﴿قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال﴾، فقام حسان ﷺ، فقال:

إنّ الذوائبَ منْ فهرٍ وإخوتهمْ قدْ بينوا سنةً للناسِ تتبعُ

يَرْضَى بهَا كُلُّ مَن كانَتْ سرِيرَتُهُ تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شرعوا

قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهمُ أوْ حاوَلُوا النّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفعوا

سجيةٌ تلكَ منهمْ غيرُ محدثةٍ إنّ الخلائِقَ، فاعلَمْ، شرُّها البِدَعُ

لا يَرْقعُ النّاسُ ما أوْهَتْ أكفُّهُمُ عندَ الدفاعِ، ولا يوهونَ ما رقعوا

إن كان في الناس سباقون بعدهمُ فكلُّ سبقٍ لأدنى سبقهمْ تبعُ

ولا يَضَنُّونَ عَنْ مَوْلًى بِفَضْلِهِمِ وَلا يُصِيبُهُمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ

لا يجهلونَ، وإن حاولتَ جهلهمْ في فضلِ أحلامهمْ عن ذاكَ متسعُ

أعفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عفّتُهُمْ لا يَطْمَعونَ، ولا يُرْديهمُ الطّمَعُ

كم من صديقٍ لهمْ نالوا كرامتهُ ومنْ عدوٍّ عليهمْ جاهدٍ جدعوا

أعطوا نبيَّ الهدى والبرّ طاعتهمْ فمَا وَنى نَصْرُهُمْ عنْهُ وما نزَعوا

إن قال سيروا أجدوا السير جهدهمُ أوْ قالَ عوجوا علَيْنا ساعةً، ربعُوا

ما زال سيرهمُ حتى استقاد لهمْ أهْلُ الصّليب، ومن كانت لهُ البيَعُ

خُذْ منهُمْ ما أتى عفْواً، إذا غَضبُوا ولا يكُنْ همُّك الأمر الذي منعوا

فإنّ في حربهمْ، فاتركْ عداوتهمْ شرّاً يُخَاضُ عليه الصّابُ والسّلَعُ

نسمو إذا الحربُ نالتنا مخالبها إذا الزعانفُ منْ أظفارها خشعوا

لا فَخْرَ إنْ هُمْ أصابُوا من عَدُوّهم وإنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

كأنهمْ في الوغى، والموتُ مكتنعٌ أسدٌ ببيشةَ في أرساغها فدعُ

إذَا نصبْنَا لِقَوْمٍ لا نَدِبُّ لهُمْ كما يدبُّ إلى الوحشية الذرعُ

أكرمْ بقومٍ رسولُ اللهِ شيعتهمْ إذا تفرّقَتِ الأهْوَاءُ والشّيَعُ

أهْدَى لهُمْ مِدَحي قَوْمٌ يُوَازِرُهُ فِيما يُحِبُّ لِسَانٌ حائِكٌ صَنَعُ

قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان بن ثابت ﷺ من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأَبي إن هذا الرجل لمؤتى له، أي موقن لخطيبة أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أحلى من أصواتنا"، فلما فرغ القوم أسلموا وجوزّهم رسول الله ﷺ وأحسن جوائزهم.. وهكذا بفضل الله ﷻ وتوفيقه لقيس بن شماس ﷺ خطيب رسول الله ﷺ وشاعره حسان ﷺ أسلم القوم وعادوا إلى بني تميم قومهم فأسلم القوم. وهكذا تحققت أمنية الرسول ﷺ الذي كان يتمنى أن يضع يده في يد سيد بني تميم قيس بن عاصم المنقريّ، الذي كان من أحلم الناس ومن أكرم الناس وهو الذي تعلم منه الأحنف بن قيس الحلم. ولما مات قيس بن عاصم سيد بني تميم، و قال فيه من رثاه فيه أبياتٌ معدودات من أعذب الشعر:

سلام الله عليك قيس بن عاصمٍ	ما شاء أن يترحمَا
تحية من أوليته منك نعمة	إذا زار عن شحط بلادك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد	ولكنه بنيان قوم تهدما

وقد قيل في الرثاء:

مات الذي كنا نحبهم	فيا دنيا عليكِ السلامُ
إني رضيع إصللهم	والطفلَ يؤلمهُ الفطامُ

(ج)

فضيلة العلم والتعلم

شرَّف الله ﷻ العلم وأهله ولقد كانت أول كلمة في القران الكريم كلمة اقرأ، ولقد سادت أمة محمد على الأمم بالعلم والقراءة وكان رسول الله ﷺ يقول: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ولا يمكن أن يتساوى العالم بالجاهل وأهل العلم عندهم محط الرحال وفي يدهم مفتاح السؤال.

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لتلميذه كميل بن زياد رضي الله عنه: "واعلم أن العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسك وأنت تحرسُ المال، العلم حاكم والمالُ محكومٌ فيه، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق"، ثم أنشد رضي الله عنه قائلاً:

ما الفخرُ إلا لأهل العلم	**إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاءُ**
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	**والجاهلون لأهل العلم أعداءُ**
ففز بعلم تعش حيا به أبد	**الناس موتى وأهلُ العلم أحياءُ**

كان (أبو علي القالي) من علماء قرطبة، وكان مجلسهُ يحضرهُ العلماء وفي يوم من الأيام وهو في الدرس حضر (هارون بن موسى) وهو يرتجف من البرد، فقال أبو علي مالك يا أبا! النصر؟ قلت: هلت علي السماء فأنا كما ترى، فقال: أبو علي اجلس وسوف تدفئ ويجف ثوبك وتحصل العلم. اجلس حتى أحدثك ما جرى لي، فتعجب: "كنت في بغداد وكانت أمي تلبسني ثيابي بعد صلاة الفجر حتى أحضر الدرس في المسجد، وفي يوم تأخرت فوجدت المسجد مغلق فحتى لا يفوتني الدرس دخلت من سرداب للماء أسفل المسجد، فضاق بي فراغمت نفسي حتى جُرحتْ وسال الدم منى فالتصقت ثيابي

بجسمي من الدم، فلما وقفت بين يدي الشيخ قال: ما بك يا أبا علي؟، قلت دخلت من السرداب فأنا كما ترى، فتعجب الشيخ من حرصي على الدرس وقال للجلوس اكتبوا.. اكتبوا":

دببتَ للمجدِ والساعون قد بلغوا — جهَد النفوسِ والقوا دونَه الأزرَ

وكابدوا المجدَ حتى مل أكثرهم — وعانق المجَد من أوفى ومن صبرَ

لا تحسب المجدَ تمراً أنت أكلهُ — لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرَ

فبكى علماء قرطبة الجالسين، وكانوا في مجلس الدرس ثلاثمائة عالم كلهم عليهم عمائم بيض وفي أيديهم محابر سود.

وفي هذا كلام جميل لبعض الحكماء حيث يقول: **"لم يبلغ مبالغ السادة من لزم الوسادة".**

وما أروع المتنبي وهو يقول:

لولا المشقةُ سادَ الناس كلهمُ — الجودُ يفقرُ والإقدام قتال

وقيل:

لا يدرك المجَد إلا سيدٌ فطنٌ — لما يشق على الساداتِ فعالُ

وقال المتنبي:

هو الجَدُّ حتّى تفضُلَ العينُ أختَها — وحتّى يكونَ اليومُ لليومِ سيِّدَا

(د)

الأدب ينوب عن النسب

تحدث رجل في مجلس (عبد الملك بن مروان) الخليفة الأموي والمؤسس الثاني للدولة الأُموية، فسلب المتحدث لب عبد الملك، فقال للمتحدث: ابن من أنت؟، فقال المتحدث: ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي أهلتني للحديث بين يديك" ثم أنشد وهو يقول:

الفخرُ بالعظْمِ الرّميمِ وإنّما ... فَخارُ الذي يبغي الفخار بنفسه

إن العلم يرفع صاحبه ولو لم يكن من ذوى النسب الرفيع، ويجعل صاحبه يتبوأ أرفع المناصب. فقد حضر رجل مجلس (معاويةَ بن أبي سفيان) وكان هذا الرجل قد دخل المجلس مع الوزراءِ والأمراء وهو ليس بوزيرٍ ولا أمير، ويلبس عباءة بها ثقوب عفا عليها الزمان، فأخذَ معاويةَ ينظرُ إلى ملابس الرجل وكأنه يقول للرجل: من سمح لك بالدخول في مجلسي هذا؟!"، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها"، وأنشد الأعرابي يقول:

ما ضرُ نصلِ السيفِ إخلاقُ غمده ... اذا كان عذباً حيث أنفذته برا

فإن تكن الأَيامُ أزرت ببزتي ... فكم من حسام في غلاف مكسرا

هنا طلبَ منه (معاوية بن أبي سفيان) أن يقوم ليجلس على مقربة منه.

وقال آخر في وصفٍ رائع بينّ فيه أن بعض الناس أحياء رغم أنهم ماتوا من سنين عديدة؛ لكنهم أحياء بذكراهم، وأن بعض الناس أموات رغم أنهم أحياء فيقول:

يا ربَ حي رخاُم القبرِ مسكنهُ ... ويا رب ميتِ على أقدامه إنتصبا

قال أحد الحكماء: "من يخطب الحسناء لا يغله المهر، ودون الشهد ابر النحل، ومن رام اللألئ زج بنفسه في البحر، وما العز إلا تحت ثوب الكد، وبقدر العَنئ تنال المنى، نعيم الأشواق بعد ذوق مر الأخطار في القفار، لا يُدركَ الشرفُ إلا بالكلف، ولا يفرش الليث الطلي وهو رابضُ، لا يدرك البطال منازل الأبطال، عند تقلب الأحوال تعرف الرجال، لا تطلب الغالي بالثمن الداني، ولذة الراحة لا تطلب بالراحة، والنعيم لا يدرك بالنعيم لا يدرك السادة من لزم الوسادة والموت في سبيل الله شهادة وسعادة جهاد المؤمنين لهم حياة.. ألا إن الحياة هي الجهاد".

قال الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، (سورة البقرة: ٢١٤).

وقيل:

إن الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ ... لو أنهُ عاري المناكب حافي

ما كل ما فوق البسيطة كافي ... فإذا قَنعتَ فكل شئ كافي

(هـ)

فصاحة العرب

قابل أحد الفرسان رجلا في الطريق فقال الرجل للفارس وهو يدعو له (سر فلا كبابك الفرس) أي سر أيها الفارس وإن شاء الله ﷻ لا تكبو بك فرسك، أي لا تقع فعلم الفارس بفطنته وبديهته أن هذا الدعاء لو قرأ من أخره يعطى نفس الجملة، فقال الفارس وقد رد على الرجل بدعاء أيضا لو قرأ من آخره فإنه يعطي نفس الجملة فقال له الفارس رداً جميلا ((دام علاء العماد)).

وهناك من الشعر الجميل الذي أيضا لو قُرأ مقلوبا أعطى شعرا أيضا لكن الشعر المقلوب يعطى معنى مقلوب، واليك هذين البيتين:

عدلوا فما ظلمت بهم دول — سعدوا فما زلت بهم قدمٌ

بذلوا فما شحت بهم شيم — رشدوا فما زالت لهم نعمٌ

<u>وعندما نقرأ البيتين من الخلف يصبح المعنى الجديد شعرا ويعطي معنى آخر عكس البيتين تماما:</u>

قدم بهم زلت فما سعدوا — دول بهم ظلمت فما عدلوا

نعمٌ لهم زالت فما رشدوا — شيم بهم شحت فما بذلوا

(و)

قالت العرب

الإنسان عندما يشاكُ بشوكةٍ فيقول (أخ) وكأنه يستنجد بأخيه ليسعفه عند الكرب، لكن الكثير من الناس غابت عنه هذه المعاني في لجة الحياة وسيطرة الماديات على أرواحنا وقد صاغ أحد الشعراء هذه المعاني، فقال:

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساع إلى الهيجا بدون سلاح

وإن ابن عم المرء فإنما جناحه ... وهل ترى بازيا يطير بغير جناح

ونجد في كتاب الله أن موسى عليه السلام يدرك قيمة الأخ وأهميته في الإعانة على إقامة دين الله عز وجل، فيذكر القران على لسان موسى عليه السلام فيقول: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾، (سورة طه: ٢٩-٣٦).

<u>قالت العرب:</u>

- من أحب المكارم اجتنب المحارم.
- من أصلح فاسدة قيد حاسدة.
- من لم يكن له من نفسه واعظ لا تنفعه المواعظ.
- من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.
- من شاور ذوي الألباب وصل إلى الصواب.
- من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد بلغ المراد.
- من أطلق بصره طال أسفه.
- من طال أمله ساء عمله.

- من أطلق لسانه قَيد حاله.
- من بالغ في الخصومة إثم.
- من قصر فيِ الخصومة ظُلِمْ.
- الأدب ينوب عن النسب.
- فما الفخرُ بالعظمِ الرميمِ وإنما، فخارُ من يبغى الفخار بنفسه.
- واعلم أن ظلم الأيامى واليتامى مفتاح الفقر.

أ. عمر فورة

معدُ الكتاب

الفصل الأول

في محبة الله ﷻ

أحبك جدا ليس فيه غضاضة	وبعض مودات الرجال سرابُ
ومنحتك الحب الصحيح وفي الحشا	وإنه عليه دليل ظاهر وكتاب
إذا صح منك الود فالكل هين	وكل ما على التراب ترابُ
فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ	وبيني وبين العالمين خرابُ

طورد رسول الله ﷺ فبنى في المدينة دولة، ونفيَّ ابن الجوزي فتعلم القراءات، ومات أولاد أبي ذؤيب الهذلي فرثاهم بإلياذة أنصت لها التاريخ، وصفق لها الجمهور، وسجن أحمد بن حنبل فصار أمام السنة، وعلم الأمة، ولقد صدق من قال في رسول الله ﷺ:

يا طريدا ملأ الدنيا اسمه	وغدا ذكره لحنا على كل الشفاة
وغدت سيرته أَسطورة	تتناقلها رواة عن رواة
ليت شعري هل درت أَمةٌ طاردته	هبل معبودها شاهت وشاة
هذا الذي جاء والبحار مالحة	فمج فيها فإذا هي كالعسل

دعوة في جوف الليل

اذا داهمتك الخطوب فقل يا الله، اذا رأيت الظلام إدلهم وضاقت عليك الأرض بما رحبت وأصبح الصديق والناصر نادرا وجرى الباطل وأهلهُ وحوصر الحق وأهلهُ ونطق الرّويبضة وساد الظلام وادلهمت الخطوب وسادت الفتن وأمطرت السماء بالمحن وعدا القرد ليثا وأيلثت الغنم وقام أفاضل الناس لأراذل الناس، فارفع يديك إلى رب الناس، وقل:

يا من أجاب دعوة نوح فانتصر	**وحملته في فلكك المشحون**
يا من أحال النار حول خليله	**روحا وريحانا بقولك كونِ**
يا من أمرت الحوت يلفظ يونس	**وسترته بشجرة اليقطين**
يا رب أنا مثله في كربة	**فارحم عباد كلهم ذي النونِ**
تالله ما الدعوات تهزم بالأذى	**أبدا، وفي التاريخ برُ يميني**
ضع في يدي القيد ألهب أضلعي	**بالسوط، ضع عنقي على السكين**
لن تستطع حصار فكري ساعة	**أو نزعَ إيماني ونورَ يقيني**
فالنور في قلبي وقلبي في يدي	**ربي، وربى حافظي ومعيني**

هذه أبيات قالها الشاعر في وجه طواغيت العصر الذين ملئوا طباق الأرض ظلما، اصرخ بها أيها المظلوم في وجه جلاديك، فالطاغوت عرشه كعرش العنكبوت لكن موجه النهر في عيني الجبان فيها حوت وتنين وثعبان والخطوة الأولى تحتاج إلى بطل.

دموع التوبة والخشية

اعلم أن الدموع دلائل فهي تذرف في مواطن عديدة ولأسباب مختلفة فتارة تراها دموع حزن على مفقود وتارة تراها دموع فرح على مولود. وأحيانا تسمى دموع فراق، وأخرى تسمى دموع لقاء.

ولما يهرم الإنسان وتضيع قدرته وتتبدل سلطته فيذرف الدموع جزعا علىَ هيبته التي ما عادت تفزع أحدا، وترى الدموع تكون أحيانا دموع موافقة يذرفها الإنسان عندما يرى امرأة ثكلى تبكي على ابنها مثلا فيبكى وهو ليس له علاقة بالأمر.

وقد تكون الدموع كاذبة فتنتهي دموع الكذب وأصدق مثال على هذه الدموع دموع إخوة يوسف الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وجاءوا أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ﴾، (سورة يوسف: ١٦).

وتجد الإنسان يدمع فرحا وتسمى دموع "الفرح" عندما تحصل له نعمة عظيمة كان يفرج عنه في قضية شائكة، ومثلُ ذلكَ في من كان متهما فيها ربما أودت به إلى حبل المشنقة أو الحكم بالمؤبد سجنا، ثم حكم له بالبراءة هو يبكي ويبكي معه كل من يحبه تسمى دموع الفرح.

وهناك دموع "الخوف" وهي التي يذرفها الإنسان عندما يحاط به ولا يجد مناصرا، ولك عبرة في دموع الخشية من الله ﷻ التي يذرفها الإنسان في الصلاة أو حول الكعبة، أو عند قبر رسول الله ﷺ وهذه الدموع قال ﷺ فيها: ﴿عينان لا تمسهما النار؛ عين بكت من خشية الله ﷻ وعين باتت تحرس في سبيل الله ﷻ﴾.

وعندك دموع التوبة والندم فإن الندم توبة فدمع التائب طاهر لو وقعت قطرة على جليد الخطايا لذاب ولو سقطت قطرة على ركام المعاصي لغاب دمع التائب على صدق المحبة برهان وعلى صحة توبته سلطان، أيها التائب عرفت فالزم ووصلت فاسلم،

وحصلت فاغنم، تقدم ولا تحجم، الباب أمامك مفتوح، والعطاء من ربك يلوح، والكرم منه يغدو ويروح.

والله لا أبكي على طلل ... اكفي وأقفر من أهل وسكاني

ولا بكيت على واد القذى سهرا ... أو خيمة بين روض الطلح والباني

وما ذرفت دموعي في الهوى أسفا ... لفئت خل ولا تذكار جيراني

لكن لذنوب ليتها محيت ... بعفو رب وغفران وإحساني

قل للمخطئين، ولكل الذين في الذنوب متورطين لأنكم خلقتم من الطين أبشروا برحمة أرحم الراحمين.

قالوا في الأخبار وقديم الآثار وقعت حمامة في ملامة فأكثرت الندامة فبكت على الغصون بدمع هطول وناحت في شجون، فأنشدت تقول:

رب إذا القلب أفعم بالرضى ... وبكى لفرط ذنوبه وأتاك

اتعفوا عنه وهل تزيل همومه ... إذ لا اله لذي الوجود سواك

فهتف بها هاتف من عصانا أمهلناه ومن تاب إلينا قبلناه ومن أطاعنا قربناه

والله لو قطعوا رأسي لأجلكم ... لسار نحو هواكم في الهوى راسي

ولو هوت قدمي ممشى لغيركم ... لقلت بيني وما بالبين من بأسى

نظر رجل في المرآة وهو في الأربعين، وقد عصى رب العالمين فرأى الشيب قد غطى عارضيه، فقال "أواه" على "أسفاه" يا رباه فذهب إلى أحد العلماء، وقال له:

أما ترى الشيب في هذا السواد شطا ... ونحن في ليل لهو نركب الغلطا

أراه ينهرنى عما ألم به ... كانما هو سيف بالهلاك سطا

فقال العالم:

إن كان صبح الشباب عذرك **فإن غروب الشيب أنزرك**

فتب إليه وأشكو الحال عليه فإذا لقيته يوم الدين وقال لك عبدي ما غرك بي فقل له برِبكَ بي، وهذا شاعر بغداد، يقول:

إليك وإلا لا تشد الركائب **ومنك وإلا فالمؤمل خائب**

وفيك وإلا فالغرام مضيع **وعنك وإلا فالمحدث كاذب**

وهذا شاعر صنعاء يقول:

فوالله لو سجدنا الجباة **على حرارة الجمر والمحمى من الإبر**

ما بلغنا عشر نعمته **ولا العشير ولا عشراً من العشرِ**

وهذا شاعر عظيم يلفت أنظارنا إلى تربية النفس والاهتمام بها ويقول لنا أن الاهتمام الزائد بالجسم، على حساب الروح خطأ وذنب جسيم:

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته **أتطلب الربح مما فيه خسران**

اقبل على النفس واستكمل فضائلها **فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان**

وامدد يديك بحبل الله معتصما **فانه الركن أن خانتك أركان**

إلى الحج أشواق

هذا أحد الشعراء يسجل لنا أشواقه إلى الحج في أبيات رائعة يقول فيها:

وحيٌ من الروح لا وحيٌ من القلمِ — هزَ المشاعرَ من رأسي إلى قدمِ

لما رأيت حجيجَ البَيتِ يدفعهمْ — شوق إلى اللهِ من عربٍ ومن عجمِ

لبوا النداء فما قرت رواحلهم — حتى أناخوا قبيل الصبحِ في الحرم

لبيك اللهم يا ربا نلوذ به — سجعَ الحناجرَ تحدوها بلا سهمِ

لما رأوا البيتَ قال قائلهُم — مزجت دمعا جرى من مقلتي بدم

وصفقت من أريج الفرح أفئدّة — كما تراقص جزلان من النغمِ

سرى إلى الروح روحانية عبقة — فزال عنهم سواد الهم والسقمِ

في ساحةٌ البيت والأبصار شاخصةٌ — كانما هي أطياف من الحلمِ

والطائفون كأمواج البحار — ما بين باك على ذنبٍ ومبتسمِ

الله اكبر كم مدتنا كيد — وكم أريق عليها ادمع الندم

وكم توسل محروم فبلغة رب الحجيج — امانى الروح والنعمِ

وكم تنفس مظلوم بحرقته — وكم أقيل عظيم الذنبِ واللممِ

الفصل الثاني

مدح رسول الله ﷺ

لقد تكاملت صفات رسول الله ﷺ فكان الأسوة والقدوة خَلقا وخُلقا، فقد رفعه الله عز وجل حيث قال له: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. (سورة الشرح: ٤)، وإذا قلنا له نورك الله فقد نوره الله عز وجل حيث قال فيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾، (سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦).

لقد صدق شوقي عندما قال:

ولد الهدى فالكائناتُ ضياءُ ... وفم الزمانِ تبسمٌ وثناءُ

ثم يقول شوقي همذيته النبوية:

فإذا سنحوت بلغت في بالجود المدى ... وفعلت ما لا تفعل الأنواء

وإذا عفوت فقادرًا ومقُدرا ... لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان في الدنيا هما الرحماء

فإذا غضت فإنما هي غضبةٌ ... في الحق لا ضغن ولا بغضاءُ

وإذا خطبت فللمنابر هذةٌ ... تعرو الندى وللقلوب بكاء

وإذا قضيتُ لارتياب كأنما ... جاء الخصوم من السماء قضاءُ

وإذا أخذت العهد أو أعطينه ... فجميع عهدك ذمةٌ ووفاء

وإذا مثيت إلى العدى فغضنفرٌ ... وإذا جريت فإنك الكباءُ

وقال شوقي في نهج البردة وهي القصيدة التي نظمها متأثرا بقصيدة البُصيري البردة، فجاءت على نهجها:

يا أفصح الناطقينَ الضادَ قاطبةً حديثك الشهْد عند الذائقِ الفهمِ

بكل قول كريم أَنت قائلُهُ تحيي القلوبَ وتحيى ميتَ الهممِ

وقال شوقي في ذكرى المولد النبوي الشريف:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منالٌ إذا الإقدأم كان لهم ركابا

تجلى مولد الهادي وعمت بشائره البوادي والقصابا

وأَسدت للبرية بنت وهب يداً بيضاء طوقت الرقابا

لقد وضعته وهاجا منيرا كما تلد السماوات الشهابا

فقام على سماء البيت نوراً يضئ جبال مكة والنقابا

وضاعت يثرب الفيحاء مسكا وفاح القاع أَرجاءً وطابا

أبا الزهراء قد جاوزت قدري بمدحك بيد أن لي انتسابا

فما عرف البلاغة ذو بيان إذا لم يتخذك له كتابا

في الهمزية النبوية يقول شوقي في مدح النبي الكريم ﷺ:

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزهُ ماله شفعاءُ

عرش أنت تحت لوائهِ والحوض أنت حياله السقاءُ

المصلحون أصابع جمعت يدا هي أنت بل أنت اليُد البيضاءُ

ومن أجلّ وأعظم من مدح رسول الله ﷺ الإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، المولود سنة ٦٠٨هـ، والمتوفى سنة ٦٩٦هـ، في قصائد عديدة وأبيات مديدة فمن أحسن ما قال قصيدة البردة، وولد البوصيري في "بهشيم" من قرى مصر وتوفى في الإسكندرية وهو مغربي الأصل من قبيلة "ضهاجة" وقد ذكر أصله في شعر له حيث قال:

فقل لنا من ذا الأديب الذي ... زاد به حبي ووسواسي

إن مثلي مغربيا فما ... في صحبة الأجناس من بأس

جاء في كتاب ((فوات الوفيات "١")) أن البوصيري أصيب بفالج أبطل نصفه، ففكر في عمل قصيدته البردة وتوسل بها إلى الله ﷻ ثم نام فرأى النبي ﷺ فمسحَ على وجهه وألقى عليه البردة فانتبه من نومه، فوجد في نفسه نهضة فقام وخرج من البيت ولم يخبر أحدا، فالتقاه بعض الفقراء فقال له فقيرٌ منهم: أريد أن تعلمني القصيدة التي مدحت رسول الله ﷺ ثم قال الفقير بعد أن ذكر أول القصيدة: والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ فرأيته يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة فأعطاه القصيدة وشاع الخبر، فأخذ أصحاب الحاجات من المرضى يتقربون إلى الله ﷻ بها فحصل لهم شفاء بإذن الله ﷻ منهم سعد الدين الفارقي وكان به رمد في عينيه ذكر ذلك في ديوان البوصيري (ص٧).

هذه البردة في مدح النبي ﷺ كانت تكتب بماء الذهب جاء فيها من مطلعها وكعادة الشعراء القدامى البداية في الوقوف على أطلال الأحبة:

أمِنْ تَـذَكُّرِ جيرانٍ بـذي سَـلَمِ — مَزَجْتَ دَمعـا جرى مِن مُقلَةٍ بِدَمِ

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة — واومض البرقُ في الظلماءِ من إضم

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا — وما لقلبك إن قلت استفق بهم

أَيحسب الصب أن الحب من كتمٌ — ما بين منسجم مِنه ومضطرم

لولا الهوى لم ترق دمعا — على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم

ثم ينتقل إلى الحديث عن النفس الأمارة فيقول:

فإن أمارتى بالسوءِ ما اتعظت — من جهلها بنذير الشيبِ و الهرمِ

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى — ضيفٍ أَلم برأسي غير محتشمِ

لو كنت أعلم أني ما أوقره — كتمت سرا بدا لي بالكتم

فمن لي برد جماحٍ من غوايتها — كما يرد جماحُ الخيلِ باللجمِ

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها — إن الطعام يقوي شهوة النهمِ

والنفس كالطفل إن تهملهُ شبَ — على حبِ الرضاعِ وإن تفطمهُ ينفطمِ

ثم ينتقل صاحبنا البوصيري إلى مدح الرسول ﷺ مباشرة في أبهى حُله فنجذه يقول:

محمّد سيِّد الكونين والثقلين — والفريقين من عربٍ وعجـمِ

نبينا الأمر الناهي فلا أحد — أبر منه في قول لا ولا نعمِ

هو الحبِيب الذي ترجى — شفاعته لكل هولٍ من الأهوال مقتحمِ

دعا إلى الله فالمستمسكون به — مستمسكون بحبلٍ غيرَ منفصمِ

فاق النبيينَ في خلقٌ وفي خلقٍ — ولمِ يدانوه في علمٍ ولا كرم

ونسير مع البوصيري وهو يعرفنا على رسول الله ﷺ فيقول:

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ	وأنهُ خيُر خلقِ الله كلهمُ
فانه شمس فضل هم كواكبها	يظهرنَ أنوارها للناس في الظلمِ
كأنه وهو فرد من جلالته	في عسكر حين تلقاهُ وفي حشمِ
أبان مولدهُ عن طيبِ عنصرهِ	يا طيبَ مبتدأ منه ومختتمِ
جاءتِ لدعوته الأشجار ساجدةً	تمشى إليه على سقٍ بلا قدمِ
سريتَ من حرم ليلا إلى حرمِ	كما سرى البدُر في داج مِن الظلمِ
وبت ترقى إلى أن نلتَ منزلةً	من قاب قوسين لم تدرك ولم ترمِ
يا أكرم الرسل مالي من ألوذُ بهِ	سواكَ عند حلول الحادثِ العممِ

أهل بيت رسول الله رضي الله عنهم

حج هشام بن عبد الملك زمن والده عبد الملك بن مروان، فلما أراد هشام الطواف واستلام الحجر لم يستطع من كثرة الزحام، فأعدوا له كرسيا، وأخذ ينظر إلى الخلائق وهي تطوف بالبيت، وإذا برجل يتنحى له الناس ويفسحوا له، فقال رجل: "من هذا يا هشام"، فأنكره هشام وقال: "لا أعرفه مخافة أن يفتن به أهل الشام"، وكان الفرزدق حاضرا، فقال: "أنا أعرفه"، فقال الشامي: "من هو يا أبا فراس؟"، فأجاب الفرزدق في قصيدة مانعة جاء فيها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	**والبيت يعرفه والحل والحرمُ**
هذا ابن خير عباد الله كلهم	**هذا التقى النقي الطاهر العلم**
اذا رأته قريش قال قائلها	**إلى مكارم هذا ينتهي الكرم**
هذا ابن فاطمة أن كنت جاهلة	**بجدة أنبياء الله قد ختموا**
وليس قولك من هذا بضائرة	**العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ**
سهل الخليقة لا تخشى بوادره	**يزينه اثنان حسن الخلق والشيمُ**
ما قال لا قط إلا في تشهده	**لو التشهدُ كانت لاؤة نعمُ**
عمَّ البرية بالإحسان فانقشعت	**عنها العيابة والإملاق والعدم**
من معشر حبهم دين وبغضهم	**كفر وقربهم ومنجى ومعتصم**
أن عد أهل التقى كانوا أئمتهم	**أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم**
لا يستطيع جواد بعد غايتهم	**ولا يداينهم وقوم وإن كرموا**
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت	**والأسد أسد الشرى والبأس محتدم**
مقدم بعد ذكر الله ذكرهمو	**في كل بدء ومختوم به الكلم**
من يعرف الله يعرف أوليه ذا	**فالدين من بيت هذا ناله الأمم**

أظنكم عرفتم من المحفوف بهذا القول انه علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما- والشاعر الفرزدق اسمه همام بن غالب. والفرزدق قطع العجين والواحدة فرزدقة.

فاطمة الزهراء بنت رسول الله -رضي الله عنها-

تأمل شمسهم ومدى ضحاها تجد في كل ناحية شعاعا

اذا أُسد الشرى شبع طالب يفتخر رأيت شبابهم عفوا جياعا

فاطمة بنت رسول الله زوج على من ذا يدانى في الفخار أَباها

هادى النفوس اذا تروم هداها وعلى زوج لا تسال عنه

فما أزكى شمائله وما أنداها ايوانه كوخ وكنز ثرائه

سيف غدا بيمينه تياها

الإمام علي بن أبي طالب ﵁ يفتخر بنسبه من رسول الله ﷺ

قال الإمام علي بن أبي طالب ﵁:

محمّد النبي أخي وصهري وحمزةَ سيْد الشهداء عمي

وجعفراً ذاك من يمُسي ويضحي يطير في الجنة مع المَلائكِة ابن أمي

بنت محمدٍ سكني وزوجي العابدين نوط لحمها بدمي ولحمئ

وسبطا أَحمدٌ ولدي منها فأيكم له سهم كسهم

الأصمعي والإمام علي زين العابدين رضي الله عنه

كان الأصمعي جالسا ليلا بجانب الكعبة فجاء رجلٍ وأخذ يطوف حول البيت ويقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلمِ — يا كاشفَ الضرِّ والبلوى مع السقمِ

قد نام وفدكَ حولَ البيتِ وانتبهوا — وأَنتَ يا حي يا قيوَم لم تنمِ

ادعوك ربي حزينا هائما قلقا — فارحم شكايتي بحقِ البيتِ والحرمِ

أن كان جودك لا يرجوه ذو سنة — فمن يجود على العاصين بالكرمِ

ألا أيها المقصود في كل حاجة — شكوت إليك الضر فارحم شكايتى

ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي — فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

أتيت بأفعال قباح رديئة — وما في الورى عبد جنى كجنايتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى — فأين رجائي ثم أين محبتي

السيدة عائشة -رضي الله عنها-

عائشة –رضي الله عنها- وأبو بكر في بيتها يضع رأسه على رجلها وينام فتنظر في وجهه وتقول:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه — ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فيفيق رضي الله عنه على كلامها ويقول و الله عز وجل ما ذاك أبوك وإنما ذاك رسول الله ﷺ.

وينشد ويقول:

وما يغُنى الثراءُ عن الفتى — إذا حشرجت وضاق بها الصدر

هذا الصديق سأله أحد الناس قائلا يا أبا بكر:

- قال:عرفت ربك؟.
- قال الصديق: "بربي عرفت ربي، ولولا ربي ما عرفت ربي".
- قيل له يا أبا بكر هل رأيت الله عز وجل.
- قال رضي الله عنه: "العجزُ عن الإدراكِ إدراكٌ، والبحثُ في ذات الإله إشراكٌ".
- أبو بكر هذا:

قاد السفينةَ بجراةٍ ومهارةٍ كالطود نحو مسيرةٍ لا تهزمُ

الفصل الثالث

صفات جيل الصحابة رضي الله عنهم

هؤلاء صحابة الرسول ﷺ قيل فيهم:

بلغ الأشواق والحب الصحابة ... سادة القوم وأرباب النجابة

هم حماة الدين أبطال الردى ... بل غيوث البذل بل آساد غابة .

حبهم ذب عن عرضهم ... ربنا في ناره الأخرى أذابه

إن كنت من حزبهم دين ومن يبغضهم ... لا تعتدي كل ذبابة

واطلب الآثار منهم إنهم ... علماء الدين فتواهم إصابة

وقال أحد الشعراء:

كلمة واحدة الإله فلا رياء ... ونهجهم الكتاب فلا ارتياب

هذا هو النموذج والمثال فصلاحه ضربت به الأمثال، وقدمت عليه البراهين وقام غائبه مقام العيان وخلدته بطون التواريخ والأقوال واعترف بعظم صحابة رسول الله ﷺ الموافق والمخالف، فهم جيل تأسس على التوحيد، وانطلق بعقيدة فكرٍ ساميا لغايةٍ أسمى، جيلٍ زاده التقوى، شعاره الجهاد في سبيل الله عز وجل، جيل سلاحه الإيمان، جيل عدته الصبر جيل خلقه القرآن، جيل قدوته سيد الأنام عليه السلام، و أمنيته الشهادة في سبيل الله عز وجل ليكون الدين كله لله.

مهما تقادم جوهر في عتقه ... فهو الثمين وليس يبرح جوهرة

شعارهم:

أنا بالله عزيز لا بعزة أو مناه   معِيَّ القرآن اتلوه فيحيى لي مواتى

أما على مستوى الموضوع فقد كانوا أقوياء وأخذوا بأسباب القوة واعدوا ما استطاعوا.

إن المخالب في يدِ ليث الوغى قطب   وفي يد غيره أظفاره

يقول النضر بن شميل: إن العرب تعتز بالأسد وجعلته ملك وتعدد الأسامي دليل شرف المسمى، فالعرب تسمي وتكني وتلقب وتعطي أوصافاً، فأعطت الأسد أكثر من مائة اسم فهو (أسد، ليث، غضنفر، أسامة، هزبر، وقسورة)، وصغيره يسمى الشبل وأنثاه لبؤة، والأسد تخافُ الناسُ منه وهو صامت، وقد قيل في هذا:

أما ترى الأسد تخشى وهي صامتة   والكلبُ يخزي لعمر الله نباحُ

.

وقد قيل أن الأسد لا يأكل الجيف مثل الضباع والكلاب وغيرها، وقد قيل:

تموت الأسود في الغابات جوعاً   ولحم الضأن يلقى للكلاب

عدل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يروى أن ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم قد أسلم بعد أن كان نصرانيا، وقدم مكة ليؤدى الحج ومعه عدد كبير من رعيته وبينما هو يطوف حول الكعبة إذا برجل من فزارة يدوس على طرف عباءته التي كانت تجر على الأرض فجذبه من رقبته بسبب هذا، فالتفت فوجد الرجل خلفه فلطمه على وجهه، فما كان من الفزاري إلا أن ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكى إليه وعمر الذي قال فيه رسول الله ﷺ: ﴿عمر رجل ضرب الله الحق على قلبه ولسانه﴾.

فمن يباري أبا حفص وسيرته   بل ومن يستطيع للفاروق تشبيها

..

أرسل عمر رضي الله عنه إلى الملك جبلة ولما حضر قال: "يا جبلة أنت لطمت هذا على وجهه عند الكعبة"، قال: نعم قال عمر رضي الله عنه: "الطمه يا فزاريّ كما لطمك فقال جبلة: "يا أمير المؤمنين أتساوي بيني وبين السوقة!"، قال عمر رضي الله عنه: "الله عز وجل سوى بينكما".

قال جبلة: إذن أتنصّر يا أمير المؤمنين.

قال عمر: نضرب عنقك لأنك تكون مرتد.

قال: "أمهلني يا أمير المؤمنين ثلاثة أيام"، فأمهله عمر وفي أثناء المهلة فر جبلة إلى بلاد الروم فما تأسف عمر من أجل هربه، لأن العدل أساس الملك ولكن جبلة الذي أمضى حياته على دين النصرانية عند الروم الأعاجم قد أصابه الندم عند وفاته وسجل رائعة شعرية، يقول فيها:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة **وما كان منها لو صبرت على ضرر**

تكنفني فيها لجاج ونخوة **وبعت العين الصحيحة بالعور**

فيا ليت أمي لم تلدني **ويا ليتني رجعت إلى القول الذي قال عمر**

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة **أجالس فيها قومي فاقد السمع والبصر**

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة **أجالس فيها ربيعة أو مضر**

عمر ﷺ اشتهت زوجه الحلوى ذات يوم فقال لها عمر ﷺ: من أين لي ثمن الحلوى فأشتريها؟، ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى، فقومي لبيت المال رديه ". حيث قال رسول الله ﷺ: ﴿من بنى لله مسجدا ولو كان كمنحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة﴾.

القطاة: طائر يشبه الحمام ويصنع عشه في الأرض، وكغالب الطيور يطير في النهار وينام في الليل، وفي ليلة من الليالي رأته امرأة يطير في الليل فقالت لقومها إن هناك عدوا يريدكم ومقبلا عليكم، قالوا لها وما يدريكِ، قالت:

لولا المفزعات ما ترك **القطا طيب المنام**

فلم يصدقوها ولما حاصرهم الجيش ندموا يوم ينفع الندم، وقال الشاعر العباسي بن الأحنف:

أسرب القطا هل من يعير جناحه **لعلى لمن قد هويت أطير**

بكيت على سرب القطا **إذا مررن بي ومثلى بالبكاء**

أسلك طريق الهدى **ولا تتوحش بقلة السالكين**

واترك طريق الردى **ولا تغتر بكثرة السالكين**

الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صاحب الحشمة والنعمة، وارث الدور والقصور، صاحب الدولة والسلطان، أرغد الناس عيشا وأكثرهم ترفا، أنداهم وجها وأعطرهم طيبا، نجده قد زهد في الفاني ورغب في الباقي، عدل في الرعية وقسم بالسوية، وجاهد مع السرية، وقاد الأمة الإسلامية خير قيادة مع ورع متين وعلم راسخ وخشوع صادق..

جزاك ربي عن الإسلام مكرمة وزادك الله من أفضاله كرما

اعلم أخي أن كل نعيم الدنيا لا يساوي غمسة في نار جهنم وأن كل البؤس والشقاء في الدنيا لا يساوى غمسة في جنات النعيم، ونحن سائرون إلى الله عز وجل كادحون إليه ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، (الانشقاق: ٦)، إما إلى جنة دار النعيم وإما إلى النار دار الجحيم.

خالد بن الوليد رضي الله عنه ومائة معركة

من أعظم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي ما دخل معركة إلا وانتصر فيها فقد كان أمام الناس رجلا، وكان أمام الرجال بطلاً، وكان أمام الأبطال مثلا.. قال فيه القائل:

تسعون معركةٍ مرت محجلةً من بعد عشر بنان الفتحِ يحصيها

وخالدٌ في سبيل الله مشعلها وخالدٌ في سبيل الله مزكيها

وما مررتَ بأصقاع مررتَ بها اللهُ اكبُر تدوي في نواحيها

ما نازل الفرسَ إلا خابَ نازلهم وما رمى الرومَ إلا طاشَ راميها

الصحابي سعد بن معاذ ﷺ

سعد بن معاذ ﷺ صحابي جليل؛ سيد الأنصار، اسلم وكانت مدة إسلامه سبع سنوات، و كانت عند الله ﷻ أفضل من سبعين قرنا من إسلام آخرين أصيب بجراح في سبيل الله ﷻ فأبقاه رسول الله ﷺ يمرض في المسجد لأن بيته بعيدا، وكان ﷺ يزوره كل يوم هو ﷺ وأبو بكر ﷺ وكبار الصحابة ﷺ.

خذ من جماجمنا في الهول معركة	**أغلى الرؤوس في الله تقطف**

كان سعد ﷺ يقول: "اللهم إن أبقيت بين رسول الله ﷺ واليهود حربا فأبقني لها، وإن كنت أنهيت الحرب بين محمد ﷺ واليهود فاقبضني إليك". وقد مات شابا في السابعة والثلاثين من عمره، سال جرحه دما ودانت روحه حتى قبض. فقد قال أبو بكر ﷺ لما علم بوفاة سعد ﷺ: "واكسر ظهراه عليك يا سعد".

لعمرك ما الرزية فقد مال	**ولا شاة تموت ولا بعير**
ولكن الرزية فقد شهم	**يموت بموتة بشر كثير**

لما مات سعد ﷺ اهتز عرش الرحمن وقامت الملائكة تقرأ "قل هو الله أحد الله الصمد" وتأخذ بأطناب العرش:

العرش يهتز من هول ومن فرق لسعد	**إذ سفراء الوحي قد وقفوا**
وسدرة المنتهى غريدة بسمت	**لأمه الضاد تهمى عندها التحف**

اهتز العرش ونزل سبعون ألف ملك يحضرون جنازته، وحضر رسول الله ﷺ مراسيم الجنازة وأخذ ينقبض جسمه ويقارب جسمه. قالوا: مالك يا رسول الله. قال: ﴿والله ما من موطن شبر في الأرض إلا وفيه ملك﴾.

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا	فأكثر ما يمر به الوصول
نثرتهم فوق الأحاديب نثره	كما نثرت فوق العروس الدراهم
وقفت وما في الموت شك لواقف	كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة	ووجهك وضاح وثغرك باسم

الصحابي أبو عقيل الأنصاري رضي الله عنه

كان أبو عقيل الأنصاري رضي الله عنه صحابياً جليلاً، وقف كالطود العظيم في الدفاع عن الإسلام. وفي خلافة أبي بكر كانت حروب الردة ضد مسيلمة الكذاب وغيره وفي معركة اليمامة كان يحارب المرتدين حتى أصيب بأربعة عشر إصابة كل منها نفذت إلى مقتل حتى وهن له شقه الأيمن فلم يستطع حمل السيف ووقع على الأرض فمر به عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

فأخذ يجره إلى الرحل حتى يداويه فسمع ابن عقيل عدي ابن حاتم يقول يا للأنصار كره بعد كره على أعداء الله عز وجل، فأراد ابن عقيل أن يقوم فقال له ابن عمر: ما فيك قتال، فقال ابن عقيل: أنه يقول يا للأنصار وأنا من الأنصار فقال ابن عمر: إنه لا يقصد المرضى وأنت من المرضى. ثم سمع لجة كبيرة وتكبير فقال: ماذا هناك يا ابن عمر فقال ابن عمر: "أبشر لقد نصر الله عز وجل الإسلام فرفع إصبعه إلى السماء وقال أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فارق الحياة".

ولسان حال ابن عمر يقول:

صامتا ليس يطيل الكلم   **وهو بالصمت يربى الأُمَمَ**

لولا احتقار الأسد شبهتها به   **ولكنها معدودة في البهائمِ**

ما كان للزهرات لولا إنها   **هتكت حجاب الكم أن تتوردَ**

قد قيدوك فما أطقت قيودهم   **والحر يأبى أن يعيش مقيدَ**

في ظل أبي عقيل الأنصاري وجيل أبي عقيل كانت أيادي المجاهدين تطرق أبواب أوروبا، وخيولهم تخوض غمار الأطلسي، وصدق في حقهم قول القائل:

بعض المعادن قد غلت أثمانها ما خالص الأبريز كالفخار

بين الخلائق في الخلال تفاوت والشهد لا يقاس بالجمار

حقا إن المعادن لا تتساوى في أثمانها ولا يمكن أن يكون الذهب كالفخار ولا يمكن أن يكون خالص العسل كالجمار الذي هو رأس النخلة؛ حيث يكون طري يؤكل لكنه لا يقارن بالعسل.

ما هم بأمة أحمد لا والذي فطر السمَا ما هم بأمة خير خلق الله بدءً أوانتها

إن غياب أبي عقيل الأنصاري عن واقعنا يجعل واقع الأمة غير الواقع الذي كان عليه الصحابة، فيرى الناظر في حالنا أن عموم الأمة دون آحادها تسير في داجية لا صباح لها، فهي ما أن تقدم قدما إلى الإمام حتى تؤخر أقداما إلى الوراء فقد نزلت الأمة من حصنها العالي إلى الحضيض فطوقها عدوها بأطواق الحديد وسامها الخسف الشديد، وأخرجهم من زمرة الأحرار إلى زمرة العبيد فأصبح حظنا من الريادة الحظ الأكوس وحظها من الحرية إلى الحظ الأبخس.

وجشمها بطن السماوة قائظا وقد أوقدتْ نار السموْم الهواجْر

الفصل الرابـع

الإمام الشافعي رضي الله عنه وغزة

ولد الإمام الشافعي رضي الله عنه بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ، وعاش بها مدة سنتين ثم حملته أمه إلى مكة ذلك بعد وفاة أبيه إدريس، ومن وفاء الإمام الشافعي رضي الله عنه لغزة، نجده يقول:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة — وإن خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربتها — كحلت به من شدة الشوق أجفاني

وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يدعو الناس إلى العلم وفي هذا يقول:

تصبر على مر الجفا من معلم — فإن رسوب العلم في نفراته

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة — تجرع ذل الجهل طول حياته

ومن فاته التعليم وقت شبابه — فكبر عليه أربع لو فاته

حياة المرء والله بالعلم والتقى — إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

وقد بين الإمام الشافعي رضي الله عنه شروط طلب العلم ولقد لخصها في بيتين من أعذب الشعر، فقال:

أخي لن تنال العلم إلا بستة — سأنبيك عنها مخبرا ببيان

ذكاء وحرص واصطبار وبُلغةً — وصحبة أستاذ وطول زمان

ثم يؤكد الإمام الشافعي رضي الله عنه أن العلم يرفع صاحبه ولو لم يكن من أشراف الناس نسباً وحسباً فإن العلم والأدب ينوب عنه النسب، فيقول:

رأيت العلم صاحبه كريم ولو ولدته آباء لئامُ

ولا يزال يرفعه إلى أن يعُظمُ أَمره القومُ الكرامُ

ويتبعونه في كل حال كراع الضأن تتبعه السوام

فلولا العلم ما سعدت رجال ولا عرف الحلال من الحرام

وكان للشافعي ﷺ شعر فيه حكم وعبر ولطائف يستنير القارئ بها فمن حكمه.

نعيب الزمان والعيب فينا وما للزمان من عيب سوانا

ونهجوا ذا الزمان بغير جرم ولو نطق الزمان هجانا

ثم نجده يبين لنا طريقة العيش مع الناس وذلك بحفظ النفس ورعايتها يقول:

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالما و القول فيك جميل

ولا ترين الناس إلا تجملا نبابك دهر أو جفاك خليل

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول

<u>كان وكيع بن الجراح، أحد شيوخ الإمام الشافعي ﷺ الذين حفظ عنهم العلم وعرف منهم طريق التقي والمجد يقول نصحني شيخي وكيع بقوله:</u>

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاصي

واعلم بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

ثم يستطرد إمامنا العظيم الشافعي ﷺ بعد هذا الكلام موضحا صفة عباد الله المؤمنين، فيقول:

إن لله عباد فطنة طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفن

وكان الإمام الشافعي ﷺ كريم سخي يدعو في شعره إلى الكرم والسخاء وكان يشعر بالحرج الشديد اذا جاء من يسأله ما ليس عنده وفي هذا يقول:

فيا لهفي على مال أجود به على المقلين من أهل المروآت

إن اعتذاري لمن جاء يسألني ما ليس عندي، لأحدى المصيبات

ويقول في مجال السخاء والكرم كلامٌ جميلٌ فمن أروع ما قال:

تستر بالسخاء فكل غيب يغطيه كما قيل السخاء

ولا ترى للأعادي قط ذل فإن شماتة الأعداء بلاء

ولا ترجو السماحة من بخيل فما للنار للظمآن رخاء

ورزقك ليس ينقصه التأني وليس يزيد في الرزق العناء

ولا حزن يدوم ولا سرور ولا بؤس عليك ولا رخاء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت أرض تقية نيا سواء

ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقية ولا سماء

وأرض الله واسعة ولكن اذا نزل القضا ضاق الفضا

دع الأيام تغدر كل حين فما يغنى عن الموت الدواء

وكان يدعو إلى التغرب عن الأوطان طلبا للعلم وطلبا للرزق، فيقول:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا سافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج هم، واكتئاب معيشة وعلم وأدب وصحبة ساجد

شيخ الزهاد إبراهيم بن أدهم

شيخ الزهاد إبراهيم بن أدهم صاحب الدور والقصور ابن النعمة، سليل الأمراء والملوك يتذكر أجداده وآبائه فيقول كان آبائي ملوك أين هم؟، كانوا سلاطين أين سلطانهم؟، فنجده يقف ويقول:

وسلاطينهم سل الطين عنهم والرؤوس العظام صارت عظاما

نجده يعلن توبته ويفر من قصره ويخلع ثياب الملك ويهرب من الترف والملك والنعيم، وراحة الأرواح واتخذ من المقابر مسكنا حتى يرى عظمة الله ﷻ حيث في المقابر الملوك وأبناء الملوك الذين سادوا وشادوا الدور والقصور.

يسكن القبور والخراب ويمرغ وجهه في التراب ويتمثل بهذا القول الذي قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أمطري سماء سرنديب لؤلؤا وافيضى أبار تكرور تبرا

أنا إن عشت لست اعدم خبزا وإذا مت لست أعدم قبرا

همتي همة ملوك، ونفسي نفس حرٍ يرى المذلة كفرا

أبو تمام يفتخر بجيش المعتصم

لما اعتدى الروم على امرأة مسلمة تسمى شراة العلوية وهي امرأة هاشمية، استنجدت بالخليفة العباسي المعتصم وهو ثامن الخلفاء العباسيين وقالت كلمتها المشهورة "وامعتصماه" فرد عليها المعتصم وقال: أجبتك يا أختاه وجهز جيشا قوامه تسعين ألفا وغزا عمورية من أجل الاعتداء على حرمة امرأة مسلمة، وقد أرسل المعتصم رسالة إلى إمبراطور الروم "كلفور" قال في مطلعها: من أمير المؤمنين المعتصم عبد الله إلى كلفور كلب الروم أطلق سراح المرأة المسلمة وإلا جئتك بجيش أوله عندي وآخره عندك، وقد سار الجيش إلى عمورية، هذه العزة التي نحن بأمس الحاجة إليها قال فيها أبو تمام.

يا يوم عمورية انصرفت عنك المنى ... حفلا معسولا الحلبِ

وفيها يقول أبو تمام:

تسعون ألفا كآساد الشرى ... نضجت جلودهم قبل نضج التينِ والعنبِ

والنصرُ في شهبِ الأرماحِ لامعةً ... لا في السبعة الشهبِ

كأنك شمس والملوك كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

والشرى منطقة بالعراق بمحاذاة الأردن مشهورة بقوة أسودها، فهو هنا يشبه الجيش بالأسود، وهو هنا يؤكد للخليفة أن النصر يأتي بعزة الرماح وليس النصر في النجوم حيث قال المنجمون لا تحارب حتى تظهر النجوم الشهب السبعة.

صلاح الدين يفتح بيت المقدس

في صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب في سنة ١١٨٧م، كانت جيوش صلاح الدين تطهر بيت المقدس من أرجاس الصليبيين الذين احتلوه لأكثر من تسعينَ عام حولوا قبة الصخرة المشرفة إلى كنيسة وقتلوا أكثر من سبعين ألف من المسلمين وهذه حالة المسجد الأقصى كلما سيطر عليه غاصب إلا وقيض الله له مُخلصاً كما قال جمال بن مطروح:

المسجِد الأقصى لـهُ أيـة	**سارت فصار مثلاً سائرا**
اذا غدا للكفر موطنا	**أن يبعث اللهُ لهُ ناصرا**

وقد ذُكر في خطبة فتح المسجدُ الأقصى الذي ألقاها القاضي (محيى الدين محمد بن زكى الدين علي القرشي) جاء في مقدمتها:

"الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره ومستدرج الكافرين بمكره الذي قدر الأيام دولا بعدله وجعل العاقبة للمتقين بفضله وأفاض على العباد من طله وهطله، وأظهر دينه على الدين كله. القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع والآمر بما يشاء فلا يراجع والحاكم بما يشاء فلا يُدافع أحمده على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك، وأشهد أن لا اله إلا الله شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ رافع الشك وداحض الشرك ورافض الإفك الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى".

يقول القائل وهو يتحسر على هذه الأيام العزيزة والدموع تذرف من عينيه وهو الشاعر محمود غنيم:

مالي وللنجم يرعاني وأرعاه — أمسى كلانا يعاف الغمضَ جفناه

لي فيك يا ليلُ آهاتٌ أردِّدها — أواه لو أجْدَتِ المحزونَ أواه

لا تحسبنِّي محباً يشتكي وصَباً — أهون بما في سبيل الحب ألقاه

إني تذكَّرتُ والذكرى مؤرِّقةٌ — مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

أنَّى اتجَّهتَ إلى الإسلام في بلد — تجدْه كالطير مقصوصاً جناحاه

ويحَ العروبة كان الكونُ مسْرحَها — فأصبحتْ تتوارى في زواياه

كم صرَّفتنا يدٌ كنا نصرِّفها — وبات يحكمنا شعبٌ ملكناه

بني العمومة إنَّ القرْح مسَّكُمُ — ومسَّنا نحن في الآلام أشباه

يا أهل يثْربَ أدْمَتْ مقلتيَّ يدٌ — بدريةٌ تسأل المصريَّ جدواه

الدِّين والضادُ من مغناكم انبعثا — فطبَّقا الشرْقَ أقصاه وأدناه

لسنا نمدّ لكم أيمانَنا صِلةً — لكنما هو دَيْن ما قضيناه

وقال أيضاً عن العروبة:

سل المعاليَ عنا أننا عرَبٌ — شعارنا المجدُ يهوانا ونهواه

هي العروبة لفظٌ إن نطقتَ به — فالشرْقُ والضادُ والإسلامُ معناه

استرشد الغرْب بالماضي فأرشده — ونحن كان لنا ماض نسيناه

إنا مشينا وراء الغرب نقتبسُ من — ضيائه فأصابتنا شظاياه

بالله سلْ خلْف بحر الروم عن عرَبٍ — بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهوا

فإن تراءت لك الحمراءُ عن كثَب — فسائل الصرْحَ أين المجد والجاه؟؟!

وانزل دمشقَ وخاطبْ صخْرَ مسجدها — عمن بناه لعلَّ الصخرَ ينعاه

وطُفْ ببغدادَ وابحثْ في مقابرها — علَّ امرءاً من بني العباس تلقاه

هذي معالم خُرْسٍ كل واحدةٍ — منهن قامتْ خطيباً فاغراً فاه

إني لأشْعرُ إذ أغشى معالمهم — كأنني راهبٌ يغشى مُصلاه

الله يعلمُ ما قلَّبتُ سيرتهَمْ — يوماً وأخطأ دمعُ العين مجراه

أين الرشيدُ وقد طاف الغمام به — فحين جاوز بغدادٍ تحدّاه

ماضٍ تعيش على أنقاضه أممٌ — ونستمد القِوى من وحْي ذِكراه

الحكمُ يسلسُ باسم الدين جامحُه — ومن يرمْهُ بحدَ السيف أعياه

وقال في الإسلام:

إني لأعتبر الإسلام جامعة — للشرق لا محض دينٍ سنّه الله

أرواحنا تتلاقى فيه خافقة — كالنحل إذ يتلاقى في خلاياه

دستوره الوحي والمختار عاهلُه — والمسلمون وإنْ شتّوا رعاياه

وقول الصحابي الجليل خبيب بن عدي رضي الله عنه:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً — على أي جنبٍ كان في اللهِ مصرعي

وذلك في سبيل الإله وإنْ يشأ — يبارك على أشلاءِ شلوٍ ممزعي

أبو محمد عبد الرحمن بن بدر النابلسي قال في فتح بيْت المقدس:

هذا الذي كانت الآمال تنتظر — فليوفي لله أقوام بما نذروا

بمثل هذا الفتح لا والله ما حكيت — في سالف الدهر أخبار ولا سيرُ

يا بهجة القدس إذا أضحى فيه علم — الإسلام من بعد طَهي وهو منتشرْ

يا نور مسجده الأقصى وقد رفعت — بعد الصليب الآيات والسور

شتان بين ناقوس يدان به — وبين ذي منطق يُصغى له الحجرُ

لقد أرسل قاضي القدس رسالة إلى صلاح الدين الأيوبي يطلب منه أن يقدمَ إلى بيت المقدس حتى يطهره من أرجاس وأدناس الصليبيين، يقول له فيها:

جاءت إليكَ ظلامةٌ تسعى من البيتِ المقدس

كلُ المساجدَ طهرتْ وأنا على شرفي أدنس

الذهبي وابن أبي حاتم

ذكر الذهبي أن ابن أبي حاتم العالمُ الوَرِعُ الجهبذ؛ كان في خرسان يلقي درساً في الهواء الطلق وأهل المنطقة ليس لهم مسجدا فأخذ يحث الناس على التبرع وبناء مسجدٍ لأهل المنطقة، فذكر حديث الرسول الأكرم ﷺ "من بنى لله مسجدا ولو كان كمفحص قطا بنى الله له بيتا في الجنة". فقام أحد التجار وقال: يا ابن أبي حاتم أتضمن لي بيتا في الجنة، وأبني مسجدا لأهل خرسان..، قال ابن أبي حاتم: أضمن لك بيتا في الجنة والضامن الجواد سبحانه وتعالى والوكيل الكريم رسول الله ﷺ، فقال التاجر: أوَتكتب لي ورقة بذلك؟، قال ابن حاتم: اكتب لك ورقة.

وكتب ابن أبي حاتم ورقة وأعطاها للتاجر فلما نام ابن أبي حاتم رأى في المنام من يقول له أمضينا لك الصك ولا تعد لمثله، لأن علم الغيب لا يجترئ به على الله عَزَّوَجَلَّ.

فيا صاحب الفضل عودتنا ويا صاحب الفضل أنت المنى

ويا كل من خلق العالمين أنت المعين ونحن الوني

إن كل من يعطي درسا في المسجد فإن هناك خمس فوائد تتحقق كما ذكر الحسن البصري:

- الأولى: حسنة يكتسبها.
- الثانية: سيئة تمحى عنه.
- الثالثة: رحمة تنزل عليه وعلى المستمعين.
- الرابعة: سكينة تغشاهم.
- الخامسة: فائدة تتحقق لأخواته.

ابو مسلم الخرساني

أنشد أبو مسلم الخرساني واسمه عبد الرحمن بن مسلم وأبو مسلم الخرساني هذا هو الذي قضى على ملك الأمويين ومكن ملك العباسيين، يقول:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت — عنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا

ما زلت أسعى بجهدي في ديارهم — والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا — ما العلقم ينمها قبلهم أحد

ومن رعى غنم في أرض سبعة — ونام عنها تولى رعيها الأسد

ابو العباس السفاح

كان أبو العباس السفاح شديد التعظيم لأبي مسلم لما قدم من خدمة عظيمة في مقاتلة الأمويين، فلما مات السفاح جاء أخوة المنصور فلم يعرف لأبي مسلم قدره وأغاظه

بعض ما صدر من أبي مسلم ففكر بقتله و هذا جزاء من قتل، و فعلا أحضره إلى قصره وقتله في القصر ، وقال أبو جعفر لما قتل أبي مسلم:

فألقت عصاها واستقر بها النوى … كما قر عينا بالإياب المسافر

وقال أبو جعفر يخاطب أبا مسلم و هو طريح:

زعمت أن الدَينَ لا يقتضى … فاستوف بالكيل أبا مجرم

اشرب بكأس كنت تَسقى بها … أمر في الحلق من العلقم

ابن التلميذ

كان ابن التلميذ شاعرا متواضعا وكان شيخا للنصارى وشيخا للأطباء في زمانه، وله صديق يهودي كان اسمه (أوحد الزمان هبة الله الحكيم) وقد أسلم أوحد الزمان أواخر عمره، وكتب ابن التلميذ في صديقه شعرا يعيب فيه تكبره فقال:

لنا صديق يهودي حماقته … إذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتيه والكلب أعلى منه منزلة … كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ يكنى بأبي الحسن وكانت صحبته مع هذا اليهودي المتكبر مشهورة جدا خاصة أن ابن التلميذ كان متواضعا جدا، فكتب أحد الشعراء و هو البديع الأسطر لأبي الحسن شعراً يوضح فيه هذه الصداقة الغريبة بين متواضع ومتكبر فيقول البديع الأسطر لأبي الحسن:

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه … أبو البركات في طرفي نقيض

فهذا بالتواضع في الثريا … وهذا بالتكبر في الحضيض

وقد ألغز أبو الحسن ابن التلميذ بهذا الشعر فقال:

ما واحد مختلف الأسماء … يعدل في الأرض وفي السماء

يحكم بالقسط بلا رياء … أعمى يري الإرشاد كل راءِ

أخرس لا من علة وداء … يغنى عن التصريح بالإيماء

يجيب إن ناداه ذو امتراء … بالرفع والخفض عن النداء

يفصح إن علق في الهواء

مواعظ صالح بن عبد القدوس -رحمه الله-

المرء يجمع والزمان يفرق … ويظل يرقع والخطوب تمزقُ

ولأن يعادى عاقلا خير له … من أن يكون له صديق أَحمق

فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقا … إن الصديق على الصديق مصدقُ

وزن الكلام إذا نطقت فإنما … يبدى عقول ذوى العقول المنطقُ

ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم … من يستشار إذا استشير فيطرقُ

حتى يحل بكل واد قلبه … فيرى ويعرف ما يقول فينطقُ

لا أَلفينك ثاويا في غربة … إن الغريب بكل سهم يرشقُ

ما الناس إلا عاملان فعامل … قد مات من عطش وأخر يغرق

والناس في طلب المعاش وإنما … بالجد يرزق منهم من يرزق

لكنه فضل المليك عليهم … هذا عليه موسع ومضيق

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا … ورأيت دمع نوائح يترقرق

سكت الذي تبع العروس مبهتا … ورأيت من تبع الجنازة ينطقُ

وإذا امرؤ لسعته أفعى مرة تركته حين يجر حبل يفرق

بقي الذين إذ يقولوا يكذبوا ومضى الذين إذ يقولوا يصدقوا

كان صالح بن عبد القدوس -رحمه الله- في زمن المهدي العباسي وكان صالح قد اتهم في شبابه بالزندقة وكان هذا من حسد الحاسدين، وقد صلح حاله وكان صاحب فلسفة وحكمة ومن شعره ما قتله حيث قال:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارِى في ثرى رمسة

إذ إرعوى عاد إلى جهله كذى الضنى عاد إلى نكسة

وإن من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسة

أبو نواس

قال عبد الرحمن بن محمد السهيلي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المُعِدُّ لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن امنن فإن الخير عندك أجمع

مالي سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى ادفع

مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقير يمنع

حاشا لجودك أن تقنط عاصيا فالفضل أجزل والواهبُ أوسعُ

عرف الناس عن أبي نواس أنه شاعر المجون والترف والخمور وليالي الأُنس، لكن أبا نواس أيضا له وجه آخر في شعر الإيمان ونسأل الله ﷻ له المغفرة.

أما اسم أبي نواس فهو الحسن بن هانئ وهو من شعراء الدولة العباسية وقد سأله أحد الناس عن نسبه فقال: إن أدبي أغناني عن نسبي توفي سنة ١٩٤هـ، قال أبو نواس يصف الدنيا نفسها وما وصفت بمثل قول أبي نواس:

ألا كل حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

ومن حسن ظنه بالله ﷻ قال:

تكثر ما استطعت من الخطايا ... فإنك بالغ رباً غفورا

ستبصر إن وردت عليه عفوا ... وتلقى سيدا ملكا كبيرا

تعض نَدَامةً كفَّكَ ممَّا ... تركت مخافة النارِ الشُّرورا

وإن كنا لا نقر بأن أبي نواس على هذا الإفراط في حسن ظنه بالله ﷻ لكن هذا شأنه ولقد رآه محمد بن نافع في المنام بعد موته، فقلت: يا أبا نواس.. -فأحب أن أناديه الحسن بن هانئ بن عبد الأول أي باسمه لا بكنيته- قلت: ما فعل الله ﷻ بك قال غفر لي وأدخلني الجنة بأبيات قلتها في أثناء مرضى في آخر حياتي وهي تحت الوسادة لم يطلع عليها إلا الله ﷻ قال محمد بن نافع فذهبت إلى أهله وطلبت منهم أن يخرجوا الأبيات من تحت الوسادة فأخرجوها فإذا مكتوب فيها:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يدعوه ويرجوه المجرم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إني مسلم

معاوية بن أبي سفيان

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان المنية جمع أهله فقال:

ألستم أهلي؟، قالوا: بلى فداك الله بنا، فقال: وعليكم حزني ولكم كدي وكسبي، قالوا: بلى فداك الله بنا. قال: فهذه نفسي خرجت من رجلي، فردوها عليَّ إن استطعتم.. فبكوا وقالوا: والله مالنا إلى هذا من سبيل، فرفع صوته بالبكاء، وقال: "من تغره الدنيا بعدي". ثم أسندوه ليسلم على الناس فجاء الناس وسلموا عليه قياما وهو جالس لم يستطع القيام، وأنشد يقول لنفسه:

وتجلدي للشامتين أريهم إني لريب المنون لا اتضعض

فسمعه رجل من العلويين، فأجابه: وإذا المنية أنشبت إظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع.

ابن القيم الجوزية -رحمه الله-

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "خير الناس من أن مكنك من نفسه أن تزرع فيها خيرا"، وكان أحد الحكماء إذا مشى حمل معه عصا فقيل له مالك نراك تدمن حمل العصا وأنت لست بكبير ولا مريض فقال:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها على ولا أنى تحنيت من كبر
ولكنى ألزمت نفسي حملها لأُعلمها أن المقيم على سفر

الفصل الخامس

المسجد

كان مسجد رسول الله ﷺ في المدينة سقفه من الجريد والأعمدة جذوع النخيل وأرضه الحصباء كان طوله أربعين ذراع، وعرضه أربعين ذراع والله ﷻ للإيمان فيه كالجبال، وكان الصحابة ينطلقون من هذا المسجد.

من المحراب ننطلق أسود حين تنبثق

كان بناء المسجد أول شيء فعله رسول الله ﷺ، وكان منبره جذع نخلة يقف عليه حين يخطب، ولما صنع له ﷺ منبرا من ثلاث درجات ترك الجذع فحن الجذع لرسول الله ﷺ وصدر من الجذع صوت كما قال البخاري كصوت الناقة الثكول حين تفقد ولدها، هذا المسجد قدم من العلم والنور ما لم تقدمه جامعات الدنيا قدم (المفسرين والمحدثين والشهداء والمعلمين قدم جيل خُلقهُ القران وقدوتهُ سيد الأنام) أيها الداعية اسمع ما يقول لك محمد إقبال شاعر الهند:

أنت كنز الدر والياقوت في لجة الدنيا وإن لم يعرفوك

محفل الأجيال محتاج إلى صوتك العالي وإن لم يسمعوك

محمد إقبال لم يعجبه حال مساجدنا في هذه الأيام فيقول:

أرى التفكير أدركه الخمول لم تبقى العزائم في اشتعال

وأصبح بعضكم من غير نور ... **ولا سحر يطل من المقال**

وعند الناس فلسفة وفكر ... **ولكن اين تلقين الغزالي**

وجلجلة الأذان بكل حي ... **ولكن اين صوت من بلال**

منابركم علت في كل ساح ... **ومسجدكم من العباد خالي**

مكة المكرمة

في مكة أذنَ الخليل وفي مكة نزل الوحي وصلى الأنبياء، هنا بعث محمد ﷺ، وفيها ولد، ونحن في رحاب الكعبة وعند المقام نصلي ونشرب من عباب زمزم حيث الطهر والإيمان حيث التاريخ والذكريات والمثل:

لم تزالِ على ممر الليالي — موئل الحق يا عروس الرمال

أنا في خدرك الوضيء — التفات ذهول وهيلمات ارتحال

فاستفاقت على آذان جديد — ملئ أذانها أذان بلال

جلس رجل مع صاحب له وأخذ هذا الصاحب يذكر أخ له بسوء وتمادى في ذلك فقال له الرجل: أغزوت الروم، قال: لا.

قال له أغزوت الترك قال: لا. قال له الرجل: أغزوت الفرس بحفره.

قال له الرجل: سلم منك الروم والترك والفرس ولم يسلم منك أخوك.

أنسيت حق الله أم تناسيته — شرٌ من الناس هو المتناسي

زمان رأينا فيه كل العجائب — وأصبحت الأذناب فوق الذوائب

كالهر يخشى شرب ماء بجدول — ويشرب من أوساخ ماء بحفره

والشنيعة الشنعاء والداهية الدهياء والبلاء المتلاطم تنكر الطالب لشيخه الذي علمه ورباه وأدبه يسل لسانه على أستاذه يذم ويشنع ويقبح ويبدع سلاحه رث وكلامه غث، هنا يقول الأستاذ عندما يرى عقوق تلميذه:

فيا عجبا لمن ربيتُ طفلاً … القته بأطراف البنان

أَعلمهُ الرماية كل يوم … فلما اشتد ساعده رماني

اعلمه الفتوة كل حين … فلما طر شاربه جفاني

وكم علمته نظم القوافي … فلما قال قافية هجاني

أقول وستر الدجى مسبل … كما قال حين شكى الضفدعُ

كلامي أن قلته ضائع … وفي الصمت حتفي فما اصنعُ

فكل كسوف في الدراري شنيع … ولكنه في الشمس والبدر أشنع

بالملح نصلح ما دوائك منك … فكيف بالملح وان حلت به الغير

ولا تشعر نخشى تغييره … ودائك فيك ولا تبصر

سقوط الأندلس

حكمة شعرية في سقوط الأندلس، يقول أبو البقاء السلوان:

لكل شيء اذا مأتم نقصان	فلا يغتر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول	من سره زمن سائته أزمان
وهذه الدار لا تُبقي على أحد	ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة	اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو	كان ابن زى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن	وأين منهم اكاليل وتيجان
وابن ما شادة شداد في ارم	وابن ما ساسة في الفرس ساسان
وأَين ما حازه قارون من ذهب	وأَين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له	حتى قضوا فكأَن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن ملِكٍ	كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله	وأما كسرى فما أواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب	يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائعُ الدهُر أَنواعٌ منوعةٌ	وللزمان مسرات وإخوان
وللحوادث سلوان يسهلها	ولما حل بالإسلام سلوان
دهي الجالعين فيرّ لأعزاء لهُ	هوى له أحد وثهلانُ
أصابها العين في الإسلام فامتحنت	حتى خلت منه أُقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسيه	وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم	من عالم قد سما فيها له شان
تبكي الحنيفية البيضاء من أَسفٍ	كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خاليةً قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس إن كنت في سنة فالدهر يقظان

يا غافلا وله في الدهر موعظة كما تفرقَ أرواح وابدأن

يا رب أم وطفل حيل بينهما كانما هي ياقوت ومرجانُ

وطفلة مثل حسن الشمس اذا طلعت والعين باكية والقلب حيران

يقودها العلج للمكروه مكرهةً إن كان في القلب إسلام وإيمان

لمثل هذا يذوب القلب

هكذا صور لنا أبو البقاء الرندي حال المسلمين في الأندلس وما جرى من طمسٍ لمعالم الإسلام وانتهاك حرماته وتفرق الأم عن ابنها والاعتداءات على أعراض المسلمين.

في الوقت الذي كان فيه حكام الأندلس من ملوك الطوائف يتقاتلون ويتفاخرون شرفاً وهم في غفلة عما يدور حولهم وكانوا أسودا على بعضهم البعض نعام على عددهم ولقد صور بعض الشعراء الذين أدركوا هذه الأمور، فقال فيهم:

ومما يزهدني في أرض أندلسٍ أسماءُ معتمدٍ فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي صورة انتفاخاً الأسد

وقالوا فيمن يكون شديدا على أهله وقومه في الخصومة، لكنه جبان خوار مع أعداء الأمة.

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة فتخاء تصفر من صفير الصافر

أما صحابة رسول الله ﷺ فكان شعارهم الله أكبر على ترانيم راياتنا سقطت رايات كسرى وذاق الموتُ ساسانُ:

عافوا المذلة في الدنيا فعندهم عز الحياة وعز الموت سيان

لا يصبرون على ضيم يحاوله باغ من الإنس اوطاغ من الجان

الفصل السادس

في ذكر المحبين

لعل أجمل كلمة في قاموس العربية كلمة (حب) فهي حرفان حاء بعدها باء تذوب عند معانيها الأحباء، فالحب بسمة عاشق لو أنها سفرت لفاض البدر من إطلالها، والحب حبان؛ حب أرضي طيني آهات وحسرات وندامات كحب ليلى وسلمى، ومعشوق عفرا، وحب علوي سماوي، فهو سيادة وريادة وعلو ورفعة كحب الله عز وجل وحب رسوله ﷺ، أحَبَ الصحابةُ الكتاب والوحي ومنزله والرسول الأكرم ﷺ فمن أجل حبهم هذا سالت دماءهم وتقطعت رؤوسهم على شفرات السيوف (كيف لا تحب الله عز وجل وما من نعمة إلا هو منعمها وهو المحسن وحده جل في علاه فقضاؤه عدل)، وشرعه رحمة، وخلقه جميل، صنعه حكيم، وفضله واسع، وصفه حسن، ولا عيب في شيء من صفاته، فقد ذهب بالجلال والجمال والكمال فحبه واجب والتقرب إليه فريضة وشكره حتم وطاعته لازمة ((الله عز وجل)) أحسن الألفاظ، ((الله عز وجل)) أحسن الأسماء، ((الله عز وجل)) أنبل الجمل، ((الله عز وجل)) أول ما نتكلم بها.

قال الله عز وجل: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾. (سورة الرعد: ٢٨).

ذكر الله عز وجل كلمةٌ مؤنسةٌ مشجيةٌ منعشةٌ مشوقةٌ معجبةٌ مطربةٌ خفيفةٌ، لطيفةٌ شريفة باسمةٌ مبهجةٌ مشرقةٌ، عليها طلاوة ولها حلاوة وفيها نضارة، فهي عالم من المودة والأنس والراحة إنها رحلة من العروج والنزول في ساحة المحبوب يستعيد فيها القلب

أمله والروح إشراقها، فإنك إذا ذكرت الله ﷻ صرت في عالم من الأنس والبهجة يهل عليك بالذكرى غيث الرجاء ويهب عليك ريح الصفاء ويسري عليك نسيم الوفاء.

حب الله هو إشراقة من عالم الملكوت، هو إطلاله في ديوان الخلود، ووقفة في بساط العظمة. إذا مرضنا تداوينا بذكره وإن تركنا الذكر ننتكس.

يقول أبو الطيب المتنبي:

اذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

ويقول المتنبي:

قد كنتُ أشفقُ من دمعي على بصري فكلُ عزيزٍ بعدكم هانَ

ما قيل في الحب

سئل ابن تيمية عن قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (سورة الأنفال: ٤٥).

كيف يطلب منهم الذكر و هم في مصافة العدو؟.

قال ابن تيمية مجيبا على هذا السؤال: إن العرب قد اعتادت في أثناء الحرب أن تتذكر أحبابها عند ملاقاة الأعداء وبالمثال يتضح المقال فهذا عنترة العبسي في أثناء المعركة.

يتذكر محبوبته فيقول:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل　　وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل الرماح لأنها　　لمعت كبارق ثغراك المتبسم

فأراد الله ﷻ أن يلفتهم عن هذا ويقول لهم إن أعظم محبوب تذكرونه عند الحرب هو الله ﷻ فقال لهم: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا إذا لقيتُمْ فئةً فاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّه كثيرًا لعلَّكُمْ تُفْلحُونَ﴾. (سورة الأنفال: ٤٥)، إذا كان حب الهائمين بليلى وسلمى يسلب اللب والعقل، سرى قلبه شوقا إلى العالم الأعلى دعني من حب مجنون ليلى ومحبوب سلمى ومعشوق عفرا واتبعهم الضلال، ولكن حدثني عن أخبار الأنبياء وهم من أجل الله ﷻ يهجرون الآباء والأبناء؛ فإبراهيم يتبرأ من أبيه، ونوح يتبرأ من بنيه، وامرأة فرعون تلغي بنفسها عقد النكاح لأن البقاء مع الكافر سفاح.

إذا كان حب الهائمين بليلى وسلمى　　يسلب اللب والعقل

فماذا عسى يضغ الذي سرى قلبهُ　　شوقاً إلى العالم الأعلى

فحب الله يصلك بمن رضاه مطلب وعفوه مكسب واسمع إلى القائل:

والله ما نظرت عيني لغيركم يا واهبا حبي بالأشواق والمهج

كل الذين روَّوْ في الحب ملحمة في آخر الصف أو في أسفل الدرج

ورسولنا ﷺ كان يقول: ﴿اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وارزقنا حبا يقربنا إلى حبك واجعل حبك أحب إلى قلوبنا من الماء البارد﴾.

وكان يقول لك العتبى حتى ترضى:

دعني أَمسحُ فوقَ الروض أجفاني فالنار موقدة من حر أشجاني

نسيت في حبكم أهلي ومنتجعي فحبكم عن جميع الناس ألهاني

وقال آخر:

بكت عيني غداة البين دمعا وأخرى بالبكا بخلت علينا

فعاقبت التي بالدمع ضنت بان أغمضتها يوم التقينا

الحب بسمة عاشق لو أنها سفرت لغاض البدر من إطلالها، الحب في الله ﷻ هو الأُنس والقرب والرضى فدعني فهذا الحكم بعد التجارب، وقيل هو الإبحار دون سفينة ومرادنا الوصول إلى رحمته ومحبته، وقيل هو قصة طويلة فصولها البذل والعطاء ودونها الدماء والشهداء.

إنها محبة الله ﷻ الإشراقة في عالم الملكوت والإطلال من ديوان الخلود ووقفة على بساط العظمة؛ البساط الذي لا يقف عليه إلا كل محبوب عند الله ﷻ، فقد جاء في الحديث القدسي: "ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن".

وانظر إلى الذين هاموا بالغزل وماتوا في سبيل المقل، عاشوا للقافية وماتوا وضحوا للقصيدة هذا معشوق ليلى يقول:

أمرُ على الديار ديار ليلى … أقبلُ ذا الجدارَ و ذا الجدارَ

وما حبُ الجدارَ شغفنَ قلبي … ولكن حبُ من سَكَنَ الديارَ

وهو القائل:

وإني لا أستغشى وما بي غشوةً … لعل خيالٍ منكِ يلقى خيالي

أي يسير في الليل فهو يأمل أن خياله الذي يصنعه ضوء الشمس أو نور القمر يلقى خيال ويتقاطع الخيال مع من يحب، فهو هنا يحب ليلى ومن كثرة وجده يسأل من أين تهب ريح الصبا؟ فقالوا له: من جهة الشمال فكانت الجهة التي تسكن فيها المحبوبة فوقف ينتظر ريح الشمال التي تحمل له رائحة من يحب، لكن الريح لم تأتِ وكان السبب أن بينه وبين ديار ليلى جبلين اسمهما ((جبلي نعمان))، فأنشد يقول:

أيا جبلي نعمان بالله عليكما … خلوا بيني وبين نسيمها

فان نسيمها إذا هب على … محزون زال منه همومها

وفي هذا المقام يذكرنا ابن الجوزي وكان له زوجة يحبها كثيرا وكان ابن الجوزي يدرس النساء وكانت زوجته تحضر الدرس فكان يحب أن يراها من بين النسوة وهو يلقي الدرس، فحضرت الزوجة ولكنها جلست وكان هناك امرأتين بدينتين حجبتا رؤيتها وحاول ابن الجوزي أن يرى الزوجة لكنه لم يستطع فلم يحضره في هذا المقام إلا أن يتذكر كلام العامري:

أيا جبلي نعمان بالله عليكما … خلوا ينى وبين نسيمها

فإن نسيمها إذا هب   على محزون زال منه همومها

يقول المتنبي أنه إذا شرب الماء أصابه الشرق وذلك لأنه يذكر الماء الذي نزل عنده الأحبة يقول:

وما شرقي بالماءِ إلا تذكراً   لماءٍ به أهلُ الحبيبِ نزولُ

ثم يقول المتنبي:

اذا اشتبكت دموع في خدود   تبين من بكى ممن تباكى

ثم يقول أبو الطيب أنه هو الذي قتل نفسه بسبب المحبة، فلا أحد يطالب بدمي لأن القتيل هو القاتل لنفسه فهو ولي الدم، يقول:

وأنا الذي جلبَ المنيةَ طرفهُ   فمن المُطالبُ والقتيلُ القاتلُ

دع عنك حب هؤلاء الذي وصل بأحدهم أن أباه اشترى جارية فوقع هذا الشاب بحبها وعاد ذات يوم وقد وجد أن أباهُ باعها فصعد على السطح وألقى بنفسه من على السطح وهو يقول:

والله لو قطعوا رأسي لأتركها   لسار نحو هواها في الهوى رأسي

دعنا من حب هؤلاء جميعا وتغالوا إلى الواحد الأحد فحبه واجب والقرب منه فريضة وشكره لازم وطاعته حتم واجبة، أأبقى عصياً في الضلالة ساجرا كفى المرء بالإسلام والشيبِ ناهيا أجمل كلمة في الحب قول الرب يحبهم ويحبونه ما قفا نبكي هو الحب ولا.

ظبيةُ المال ولا ظبيه البان وذكرى زينب إنما الحب دما تنزفه في سبيل الله خير القرب أو دموع حرة تذرفها سحرا أصدق من قلب الصبي أو سجودا خاشع ترسمه فوق خد الطين فاسجد واقرب حقا تعالوا إلى حب من رضاه مكسب وعفوه مطلب.

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب والهيام بالأهداب فكل ما فوق التراب تراب

أدخلونا في عالم الحب الراقي والدواء الواقي الذي تطير له الأرواح وتهتز له الأشباح

يا نفس توبي فان الموت قد حان واعصي الهوى فنبيا ما زال فتان

يا نفس مالي وللأموال اتركها خلفي واخرج من دنياي عريان

يا رب إننا مذنبين مخطئين نرفع إليك أكف الضراعة حتى تقبلنا:

لقد مددت إليك يداً بالذل مفتقرا يا خير من مدت إليه يدُ

فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروى كل من يرد

ويرد عليه شاعر آخر مطمئنا لهذا المحزون ويقول له:

يا صاحب الهم أن الهم منفرجٌ أبشر بخيرٍ فان الفارجَ اللهُ

فإن القرب من الله شرف وعزة والسير خلف محمد ﷺ يصلك بالله، وصدق من قال:

ومما زادني شرفا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن سيرت لي أحمد نبيا

كان سيدنا داوود عليه السلام يقول:

﴿إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرض بما رحبت وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك﴾.

وكان سيدنا داوود عليه السلام يقول: ﴿والله إني لأستحي أن أرفع رأسي إلى السماء حياءا من خطيئتي﴾، لهذا الحياء ولهذا الانكسار خيره الله عز وجل بين العلم والمال، فأعطاه الله عز وجل العلم والمال والملك والنبوة.

وقال الله عز وجل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأرض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

(سورة ص: ٢٦).

إذا سألت فاسأل الله عز وجل فمن الذي سأله فما أعطاه ومن الذي استجار فما آواه وفي الحديث فإذا سألت فاسأل الله عز وجل. وقد قال القائل:

الله يغضب إن تركت سؤاله — وترى ابن آدم حين يسأل يغضب

وقال آخر:

فإذا عرتك بلية فاصبر لها — صبر الكريم فانك به أعلم

وإذا شكوت إلى ابن ادم — إنما تشكو الذي يرحم إلى الذي لا يرحم

فـإن الشـكوى إلـى الله ﷻ مقبولـة، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.(سورة الأنبياء:٨).

(دون مبالغة) مسني لفظ فيه رقة وتلطف ثم يقول وأنت أرحم الراحمين وهذا يعقوب عليه السلام عندما كادّ الإخوة ليوسف عليه السلام فلم يجد أمامه إلا الشكوى فيقول: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾، (سورة يوسف: ٨٦)، فـإن الشكوى لغير الله ﷻ تنافي مقام الصبر الرفيع.

اصبر قليلا فبعد العسر تيسر　　　ولله في شاننا أمر وتدبير

وللمقادير في أحوالنا حكم　　　وفوق تقديرنا لله تقدير

قال أحد الصالحين: "لو خيرت بين أن يحاسبني أبي وأمي، أو يحاسبني ربي لاخترت أن يحاسبني ربى لأنه أرحم الراحمين". وكذلك كان نبينا محمد ﷺ رحيم بالناس، وقد قال شوقي:

فإذا رحمت فإنك أب أو أم　　　هما في الدنيا الرحماء

الحكمة والإتحاد

ما خاب أصحاب ملة اذا ما تشاوروا ثم شمروا ... ولا ضاع حق لم ينم عنه أهله

ولا ناله في العالمين مقصر ... اذا الله أحيا أمة

فلن يردها إلى الموت قهار ولا متجبر

وكم كان صادقا الأب الحكيم الذي ألم به المرض فجمع أبنائه جميعا واحضر حزمة من العصي وفرقها وأعطى كل واحد منهم عصاه وطلب منه أن يكسرها، فكسرها ثم جمع العصي وطلب من كل واحد منهم أن يكسرها وهي مجتمعة فلم يستطع أحد أن يكسرها، فقال لهم يا أولادي:

تأبى العصي إذا ... اجتمعن تكسرا

وإذا تفرقت ... تكسرت أحادا

<u>وقال الشاعر أحمد شوقي:</u>

وإذا عرى الرعاة اختلاف ... علموا هارب الذئاب التجرى

التعجب والكبر

من أمراض القلوب التعجب والكبر والفرق بينهما أن المعجب يبقى عُجبهُ في نفسهِ فهو يعتقد أنه أحسن الناس وأكرمهم وأعزهم نسباً، لكن المتكبر يحتاج إلى من يتكبر عليه ويظهر ما في نفسه من كبر على الناس.

مثل المعجب في نفسه ... مثل الواقف على رأس جبل

يرى الناس صغارا ... وهو في نظرهم صغيراً لم يزل

وقال آخر:

عجبت لمن ثوبهُ لامعٌ ... ولكنما القلب كالفحمةِ

مظاهر براقة تحتها ... بحار من الزيف والظلمةِ

قيل لأحد المتكبرين وكان يسكن على الضفةِ الثانية لنهر دجلة لماذا لا تأتي لتزورنا؟، قال: والله إني أخاف أن آتيكم للزيارة فلا يحمل الجسر شرفي فينكسر وكان أحد المتكبرين إذا كلم أحد الفقراء بتمضمض، وقد جاء في ذم الكبر:

كيف يزهو من رجيعة ... أبد الدهر ضجيعة

فهو منه واليه ... وأخوه ورضيعه

وهو يدعوه إلى الحش ... بثغر فيطيعه

وقال آخر في ذم الكبر والعجب ويُعرفُ الإنسان بحقيقتهِ فيقول:

هل في ابنِ آدمَ غيرُ الرأسِ مكرمةَ وهو بخمسٍ من الأقذارِ مضروبُ

أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحُها سَهِكٌ والعينُ مرصةٌ والثغرُ ملعوبُ

يابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غداً أقصرْ فإنكَ مأكولٌ ومَشْروبُ

لقد ذم الشارع الحنيف الكبر وقد حرم الجنة على المتكبر فقال ﷺ: ﴿لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر﴾.

نصرة المسلم لأخيه المسلم

قال الله ﷻ:﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. (سورة الأنبياء: ٩٢).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمة**﴾.

ونحن هنا في أرض الإسراء والمعراج تكالبت علينا قوى الشر والوثنية وحاربتنا عن قوس واحدة فيما إخواننا في الدين والوطن الغالب منهم وقف كالمتفرج على إخوانه وهم مشردون في السوافي وأشلائهم للعوافي صغيرهم ينوح والثكالى تصيح وشيخهم مشرد. والحكام قد انشغلوا وأصموا أذنهم وعبدوا الدرهم والدينار ونسوا الواحد القهار إلا هل

أتـى عبـاد الفلس والطـين مـا حـل ببنـي جنسـهم فـي فلسطين لكـن مـا زالـت التضـحية بالأقوال:

والأهواء متبعة	**والزعامة زعم**
والنصر تصفيق	**والرجولة مائعة**
قد فُرقت فينا الليوث	**وأكثرت فينا الشياه**

يا من رفعتم علم الجهاد قد أقدمتم فصممِوا وبدأتم فتمموا وإياكم والتراجع فإن اسمه الهزيمة، ولقد صدق من قال:

إن كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة	**فإن فساد الرأي أن تتردد**
إذا هبت رياحك فاغتنمها	**فما تدرى السكون متى يكون**
وإذا درت نياقك فاحتلبها	**فما تدرى الفصيل لمن يكون**

إياكم يا معشر المجاهدين من التردد فإنه سوس العزيمة لا يخدعنكم وعد ولا يزعجنكم وعيد ولا تغرينكم محادثات فأنها ضياع أوقات وإطالة ذل ولقد جربتم ولدغتم من جحر واحد مرات ومرات هذه هي الحقيقة ومن قال لكم غير هذا فقد غشكم.

يا شعب فلسطين لا تطلبوا الحياة ممن يريد أن يميتكم ولا تطلبوا القوت ممن يجهد نفسه لتجويعكم أن المطاعم التي تقدم لكم هي مطاعن والملابس هي محابس أن الاقتصاد عامل قوة فخذوه بقوة ولقد صدق علينا قول (عمر بن كلثوم) عندما كنا أقوياء حيث يقول:

نشرب أن وردنا الماء صفوا	**ويشرب غيرنا كدرا وطينا**

ولما ضعف حالنا صدق علينا قول القائل:

ولا يردون الماء إلا عشية	**إذا صدر الوارد عن كل منهل**

النفاق للحاكم

دخل (ابن هاني الأندلسي) على الحاكم بأمر الله ﷻ وكان هذا الحاكم مبتدعا جرئ على الحق وكان حوله جماعة من الفاسدين زينوا له الباطل فقال ابن هاني يريد مدح الحاكم من أجل المال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار	**فاحكم فأنت الواحد القهار**
وكأنما أنت النبي محمد	**وكأنما أنصارك الأنصار**

ودخل (أبو إسحاق الصوري) على عضد الدولة من بني بويه حاكم بغداد وكان ظالما جبارا عنيدا، وفي صبيحة عيد الأضحى قام هذا الظالم عضد الدولة بقتل ثلاثة من أقاربه شعر بأنهم يطمعون في ملكه قتلهم وقت التضحية بعد صلاة العيد، فماذا قال أبو إسحاق الصوري له؟:

صلي يا ذا العلا لربك وانحر	**كل ضد وشان لك أبتر**
أنت أعلى من أن تكون أضاحيك	**قروما من الجمال تعفر**
بل قروما من الملوك	**تيجانهم أمامك تنثرُ**
كلما خر ساجداً لك رأس منهم	**قال سيفك الله اكبرُ**

في زمن فاروق ملك مصر كانت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، دخل أحد الشعراء على فاروق وقال له:

فيا فاروق أدركها جراحا	**أبت إلا على يديك التئام**
بك الوطنية استقامت	**بعدما كانت خرافة**

دخل **أحد** الشعراء على جمال عبد الناصر زعيم مصر فقال له:

أجمالُ مالي أراك من بين الأنام . فتى ممن ينطق الضاد

لو كنا متخذين من الأنام فتى كنا لشخصك دون الناس عباد

الحماقة والجهل

رباه رباه يظن الناس بي خيرا واني لشر الناس أن لم تعفُ عني

ومالي حيلةً إلا رجائي وعفوك أن عفوت وحسن ظني

وإذا ذَكركَ سفيةٌ بكلام ليس فيك لا ترد عليه حتى يموت غيظا واذكر قول القائل:

ولو أن كل كلب عوى ألقمته حجرا لصار مثقال درهم من حجر بدينار

واذكر قول القائل:

ومن عاتب الجهال اتعب نفسه ومن لام من لا يعرف اللوم أفسدهُ

وإن الصمت أفضل في مواجه الجهلة والحمقى:

والصمت عن جاهل أو أحمق شرف وفيه أيضا لصون العرض

أما ترى الأسد تخشى وهي صامتة والكلب يخزى لعمر الله نباحُ

بينما كان الإمام أحمد ﷺ يدرس تلاميذه إذا برجل يدخل عليهم، وأخذ يكيل السباب على الأمام أحمد وهو ساكت، والرجل يتمادى والتلاميذ يقولون: "رد عليه يا إمام"، فيقول الإمام: "أما قرأتم قول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأرض هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. (سورة الفرقان: ٦٣).

إذا سبني نذل تزايدت رفعة ... وما العيب إلا أن أكون مسابيه

ولو لم تكن نفسي على عزيزة ... لمكنتها من كل نذل تحاربه

قال الشيخ عبد الله سكيك:

ليس الصديق الذي أن زلّ صاحبه ... تراه يعرض ما قد يجلب الضرر

وإن يك واقفا يوماً على عوج ... بث الذي كان من إسراره اختبرا

بل الصديق الذي تبقى مودته ... وإنْ كوى بمجامير القلا اصطبرا

وإن نأى عن من يهواه بعزره ... ويحفظ السر أن وافي وإن هجرا

الإمام الشافعي ﷺ يذكرنا بأن الذي يصون عرض أخيه يصون الله ﷻ عرضه، فنجده يقول:

عِفَوْ تَعِفُ نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا مالا يليق بمسلم

إن الزنا دين فان أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

من يزنى ولو بدرهم ... يزنى في بيته بغير الدرهم

<u>يقول المزني وهو تلميذ من تلاميذ الإمام الشافعي ﵁ سمعته يقول:</u>

- من تعلم القران: عظمت قيمته.
- ومن تعلم الفقه: نما قدره.
- ومن تعلم الحديث: قويت حجته.
- ومن تعلم العربية: رق طبعه.
- ومن تعلم الحساب: جزل رأيه.
- ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

<u>ويقول ابن أبي ثور وهو من تلاميذ الإمام الشافعي ﵁ سمعت الإمام يقول:</u>

- أصل العلم التثبيت وثمرته السلامة.
- وأصل الورع القناعة وثمرته الراحة.
- وأصل الصبر الحزم وثمرته الظفر
- وأصل العمل التوفيق وثمرته النجاح.
- وأصل كل هذه الأمور الصدق مع النفس والصدق مع الله.

ثم يقول الإمام الشافعي ﵁ آيات الرياسة خمسا: "صدق اللهجة وكتمان السر والوفاء بالعهد وإبداء النصيحة وأداء الأمانة".

ثم يقول الإمام الشافعي ﵁:

بئس الزاد إلى المعاد **العدوان على العباد**

ومن حكم الإمام الشافعي ﷺ ينظمها لنا فيقول:

ومتعب العيش مرتحلا إلى بلد والموت يطلبه من ذلك البلد

وضاحك والمنايا فوق فرقه لو كان يعلم غيبا مات من كمد

من كان لم يُوت علما في بقاء غد ماذا تفكره في رزث بعد غد

ومن كرمه ﷺ يقول:

أجود بموجود ولو بت طاويا على الجوع كشحا والحشى يتألمُ

واظهر أسباب الغنى بين رفقتي لينحفاهم حالي وإني لمعدمُ

وبيني وبين الله أشكو فاقتي حقيقا فان اللهَ بالحالِ أعلمُ

عاقبة الظلم

المعتمد بن عباد كان حاكما لإحدى نواحي الأندلس وكان في زمن دول الطوائف التي حكمت الأندلس، وفي يوم من الأيام يجتاح إحدى الممالك المجاورة له ويبدد ملك هذه الدولة فيرفع صاحب الدولة المظلوم يديه إلى السماء ويقول: "اللهم كما انتقمت للمظلومين منا فانتقم لنا من الظالمين لنا".

وتمر الليالي ويواجه المعتمد اجتياحا من الأسبان فيستنجد المعتمد بن عباد بيوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين في المغرب، ويهب يوسف بن تاشفين لنصرة المعتمد ويصد هجوم الأعداء عن المعتمد لكن يوسف رأى جمال بلاد المعتمد ورأى أنه من السهل السيطرة عليها واعتقال المعتمد ملكها.

يا راقدا في الليل مسرورا بأولهِ أن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وفعلا يقوم يوسف بن تاشفين بإعلان الانقلاب على حكم المعتمد ويجتاح البلاد ويتم اعتقال المعتمد ونقله إلى سجن (اغمات) ويقول له أبيه أن هذا قد حصل لنا بسبب ظلم ظلمناه في يوم أخذنا ملك جارنا (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ووضع المعتمد بن عباد في السجن، وكان له زوجة تسمى اعتماد وله بنات كن إذا خرجن من القصر كان الخدم يفرشون الأرض تحت أقدامهن كافورا وخدم آخرين ينشرون المسك طيب الرائحة، وبعد تغير الحال كانت الزوجة وبناتها يأتين إلى السجن للزيارة وفي زيارة العيد قدمن والمعتمد ينظر من زنزانته فرآهن وكان شاعرا فأنشد يقول:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فسائق العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس لا يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطان في الطين والأقدام حافية كأنهن لم يطأن مسكا وكافورا

لا خد إلا ويشكو الجدب ظاهرة وليس إلا مع الأنفاس مطمورا

أفطرت في العيد لا عادت إساءته فكان فطرك للأكباد تفطيرا

ثم يتذكر كيف كان هو الأمر الناهي في مملكته أصبح اليوم بسيطا، يأمره ويزجره وينهاه السجان فيقول:

قد كان دهرك أن تأمره ممتثلا فردك الدهر منهيا ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسر به فإنما بات بالأحلام مغرورا

فتنبهوا يا معشر الإسلام من أحلامكم فالضعف في الأحلام

لا تغفلوا عن حاقد يقظان يرقب نومكم كالوحش في الآجام

حرب المعاصي والنفاق صراحة ليست سوى حرب على الإسلام

ما زال فينا الوفي من بنى سبأ يؤذون أهل التقى بغيا وعدوان

لكن أخي لا تبتئس فالكون يملكه رب إذا قال في أمره كان

العزاء

العزاء يكون لأهل الميت سنة من سنن الحبيب محمد ﷺ ويكون في الأيام الثلاثة: "الأولى وصيغته لله ما أخذ ولله ما أبقى وكل شيء عنده بأجل ومن لطيف ما قيل في العزاء":-

إنا نعزيكم لأعلى ثقة من البقاء ولكنها سنة الدين

فلا المُعزى بباق بعد ميتة ولا المعزى وإن عاش إلى حين

ونقول لأهل الميت.. "الدهر يومان: ذا أمنٍ، وذا خطرٍ، والعيش عيشان: ذا صفوٍ وذا كدرٍ. إن لكل بداية نهاية، ولكل نعيم انقطاع، ولكل شملٍ مجتمع فرقة، إذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم".

بينما المولود يولد ويفرح به ويؤذن في أذنه إذا بعد وقت ليس بالطويل يحمل ليصلى عليه، وكأن حياته ما بين أذان وإقامة:

أذان المرء حين الطفل يأتي وتأخير الصلاة إلى الممات

دليل أن محياه يسيرٌ كما بين الأذان إلى الصلاة

يكون المرء في أهله فرحا مسرورا في ليله آمناً مطمئناً، إذا به وحيدا فريدا لا والد ولا ولد، ولا أنيس ولا جليس، بعد ما كان يخبر عن غيره إذا به خبرا يُخبُر عنه. حتى الطبيب الذي يعالج المرضى إذ به يصاب بنفس المرض فلا طبه ينفعه ولا دوائه يرفعه وإذ به يلقى ما لاقى غيره على يديه وحاله:

ما للطبيب بطبه ودوائه — لا يستطيع دفاع نحب قد قضى

ما للطبيب يموت بالداء — الذي قد كان يبرئ مثله فيما مضى

مات المذاوى والمداوي، والذي — جلب الدوى، ومن باعه ومن اشترى

أيها الإنسان انتبه فما أنت إلا كقطعة ثلج تذوب وتذوب حتى تتلاشى وكأنك لم تكن.

سيصير المرء يومـــــا — جسداً ما فيـــــه روح

بين عيني كل حـــــي — علم الموت يــــــلوح

كلنا في غفلة والـــــــ — موت يغدو ويـــــــروح

لبني الدنيا من الدنـــــ — يا غبوق وصـــــــبوح

رحن في الوشي وأصبحـ — ـن عليهن المســــــوح

كل نطاح من الدهـــــ — ـر له يوم نطـــــــوح

نح على نفسك يامســـ — ـكين إن كنت تــــنوح

لست بالباقي وإن عمـ — ـرت ما عمـــــر نوح

موعظة

كان مَلك الموت يأتي دائماً عند سيدنا يعقوب عليه السلام، وفي يوم من الأيام في إحدى زيارات ملك الموت ليعقوب عليه السلام قال له عليه السلام: "يا ملك الموت بحق الصحبة إذا جئت عليّ قابضاً أخبرني قبل ذلك"، ومرت الأيام والسنون سريعة على الإنسان فيها السعادة والشقاء، فالعيش عيشان ذا صفوٍ وذا كدر، وصدق من قال:

مرت سنون بالسعود وبالهنا	**كأنها من قصرها أيام**
ثم إن شئت أيام هجر	**كأنها من طولها أَعوام**
ثم انقضت وانقضى أهلها	**فكأنها وكأنهم أحلام**

جاء ملك الموت ليعقوب النبي عليه السلام فقال له: أزائرا أم قابضا، فقال: بل قابضا فقال يعقوب يا صديقي ألم أطلب منك أن تخبرني قبل أن تقبضني، فقال ملك الموت: يا يعقوب لقد أرسلت إليك ثلاث رسائل قال يعقوب لم تصلني رسالة واحدة.

قال ملك الموت: يا يعقوب ألم تكن صغيرا فكبرت تلك رسالة.

ثم قال: يا يعقوب ألم يكن شعرك أسودا كالفحم، وها هو أبيض كالقطن تلك رسالة ثانية، وصدق الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال: "الشيب عنوان المنية وهو تاريخ الكبر، بياض شعرك، موت شعرك، ثم أنت على الأثر، فإذا رأيت الشيب عم الرأس فالحذر الحذر".. يا يعقوب ألم تكن سليما معافى وها أنت وهن العظم منك ونال الدهر منك وتلك رسالة ثالثة.

وفي قصيدة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عن الموت:

النفسُ تبكي على الدنيا وقد علمت	إن السعادة فيها ترك ما فيـها
لا دارٌ للمرءِ بعد الموت يسكُنها	إلا التي كانَ قبل الموتِ بانيـها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعُها	ودورنا لخراب الدهـر نبنيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة	حتى سقاها بكأسِ الموت ساقيها
فكم مدائنٍ في الآفاق قد بنيت	أمست خرابا وأفنى الموتُ أهليها
لا تركننَ إلى الدنيا وما فيها	فالموت لا شك يُفنينا ويُفنيها
لكل نفس وان كانت على وجلٍ	من المنيّة آمالٌ تقويها
المرء يبسطها والدهر يقبضُها	والنفس تنشرها والموت يطويها
إنما المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ	الدين أولها والعقل ثانيـها
والعلم ثالثها والحلم رابعها	والجود خامسها والفضل سادسها
والبر سابعها والشكر ثامنها	والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها	ولست ارشدُ الا حين اعصيها
واعمل لدار غدا رضوانُ خازنها	والجار احمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها	والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ محضٌ ومن عسل	والخمر يجري رحيقا في مجاريها
والطير تجري على الأغصان عاكفة	تسبحُ الله جهرا في مغانيها
من يشتري الدار في الفردوس يعمرها	بركعة في ظلام الليل يحييها

وهذا المتنبي يقول عن الحكام الذين ضاقت الأرض بجيوشهم وضاق الفضاء بجيوشهم، أين هم الآن فيقول:

من ذا الذي ضاق الفضاء بجيشه ... حتى هوى فحواه لحد ضيق

خرس إذا نودوا كان لم يعلموا ... أن الكلام لهم حلال مطلق

الفصل السابع

روائع ما قيل

قال كعب بن ز هير رضي الله عنه:

لو كنت أعجب من شئ لأعجبني   سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها   فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل   لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

قوله و الشيخ لا يترك أخلاقه و البيت الذي يليه، هما كانا سبب قتله، حيث كان الخليفة العباسي (المهدي) الذي جاء بعد موت أبيه أبي جعفر المنصور، وثالث خلفاء بني العباس و اسمه (محمد المهدي) تتبع الزنادقة و عمل على إبادتهم، وقد ولد محمد المهدي (سنة ١٢٦ هـ) وتوفي (سنة ١٦٩ هـ).

قال المهدي لـ (صالح بن عبد القدوس) ألست القائل: "و الشيخ لا يترك من أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه؟"، قال: "بلى يا أمير المؤمنين"، قال المهدي: "فأنت لا تترك أخلاقك"، فأمر به فقتل وصلب على الجسر، وذلك سنة سبع وتسعين، ومن محاسن شعره: "إذا لم تستطع شيئا وزعه وجاوزه إلى ما تستطيع".

وقال ابن دريد: "من لم يقف عند انتهاء قدره، تقاصرت عنه فسيحات الخطا".

وقال بعضهم كلام جميل فيمن بقي يتصابى وقد كبر سنه و ابيض شعره لكنه يتعالى عن كل هذا ويبقى في الغي و الهيام و الغفلة، فقالوا:

صرمتْ حبالك بعد وصلك زينب   والدهر فيه تغير وتقلب

نثرت زوائبها التي تزهو بها سودا وراسك كالثغامة أشيب

فدع الصبا فقد عداك زمانه وازهد فعمرك مر منه الأَطيبُ

ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المَهربُ

دع عنك ما قد كان في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

واذكر مناقشة الحساب فإنه لابد يحصى ما جنيت ويكتب

لم ينسه الملكان حين منيته بل اسبتاهُ وأنت لاه تلعب

والروح فيك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتُسلبُ

وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهبُ

والليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيها تعد وتحسبُ

وجميع ما خلفته وجمعته حقا يقينا بعد موتك ينهبُ

تبا لدار لا يدوم نعيمها ومشيدها عما قِليل يخربُ

فاسمع هديت نصيحة أولاكها بر نصوح للأنام مجربُ

صحب الزمان وأهله مستبصراً ورأى الأُمور بما تؤوب وتعقبُ

لا تأمن الدهر الخؤون فإنه مازال قدما للرجال مؤدبُ

وعواقب الأَيام في غصاتها مضض يذل له الأَعز الأنجب

فعليك تقوى الله فالزمها تفز إن التقى هو البهي اللهيب

واعمل بطاعته تنل منه الرضا إن المطيع له لديها شعبُ

واقنع ففي بعض القناعة راحة واليأس مما فات فهو المطلبُ

فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة فقد كسي ثوب المذلة أشعبُ

ما قيل في الأسد

الأسد من السباع ويجمع على -أسود وأساد وأُسدْ- وله عند العرب أسماء كثيرة أوصلها ابن خالوية إلى خمسمائة اسم وصفه، وقال النضر بن شميل العرب سمت الأسد مئة وعشرين اسما ذلك لشرفه فان كثرة الأسماء دليل شرف المسمى. ومن أشهر أسمائه أسامة، والحارث، وحيدرة، وضرغام، وضيغم والدواس والرئبال وزفر والسبع والعنبس والفراقصة والقسورة والليث والمتهيب والهرماس والورد.

ويكنى: أبو حفص وأبو الأبطال وأبو شبل وأبو الحارث وأبو العباس.

الأسد لا يأكل من فريسة غيره صادها فإذا شبع تركها ولا يعود إليها. ولا يشرب الأسد من ماء ولغ فيه كلب وقد أشار الشاعر إلى ذلك بقوله:

واترك حبها من غير بغض	**وذلك لكثرة الشركاء فيه**
اذا وقع الذباب علي طعام	**رفعت يدي ونفسي تشتهيه**
وتجتنب الأسود ورد ماء	**اذا كان الكلابُ ولغن فيه**

روى الطبراني والحافظ المنذر أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أتدرون ما يقول الأسد في زنيره﴾، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال يقول: ﴿اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف﴾.

قال إبراهيم بن أدهم خرج علينا أسد فدعونا الله بهذا الدعاء فولى الأسد هاربا:

"اللهم أحرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وأنت رجانا يا الله يا الله يا الله"، فإذا رأيت أمر يخيفك فادعوا بهذا الدعاء.

حكمة بالغة

وقال بعضهم كلاماً قيماً في حكمة بالغة:

وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب
واحذره إن لاقيته مبتسما ... فالليث يبدو نابُه إذ يغضبُ
إن العدو وإن تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيبُ

ذم النفاق

ومما جاء في ذم النفاق:

وإذا الصديق لقيته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

في وصل الكرام من الناس

وصل الكرام وإن رموك بجفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... إن القرين إلى المقارن ينسب
إن الغني من الرجال مكرم ... وتراه يُرجى ما لديه ويُرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب

ذم الفقر

ما جاء في ذم الفقر:

والفقر شينٌ للرجال فِإنهُ حقاً يهون به الشريفُ الأنسبُ

ومن روائع ما قيل في ذلك:

وإذا رأيت الرزق عز ببلدة وخشيت فيها أن يضيقَ المذهبُ

فارحل فأرض الله واسعة الفضا طولا وعرضا شرقها والمغربُ

فلقد نصحتك وإن قبلت نصيحتي فالنصح أغلى ما يباع ويوهبُ

النهي عن الحرص

ومما جاء في النهي عن الحرص:

لا تحرص فالحرص ليس بزائد في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب

ويظل ملهوفا يروم تحيلا والرزق ليس بحيلة يستجلبُ

كم عاجز في الناس يأتي رزقهُ رغداً ويحرم كيس ويُخَيبُ

ما جاء في مواجهة نكبات الزمان:

وإذا أصابك نكبة فاصبر لها من ذا رأيت مسلما لا ينكَب

وإذا رمُيتَ من الزمانِ بريبةِ أو نابك الأَمر الأَصعب

فاضرع لربك إنه أدنى لمَن يدعوه من حبل الوريد وأقرب

مدح الأمانة وذم الخيانة

ما جاء في الحفاظ على الأمانة وذم الخيانة:

وارعى الأمانة والخيانة فاجتنب　　　واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

اختيار الأصحاب

وقد جاء في اختيار الأصحاب واجتناب اللئام:

كن ما استطعت عن الأنام بعزلٍ　　　إن الكثير من الورى لا يصحب

واحذر مصاحبة اللئيم فانه　　　يعدى كما يعدى الصحيحَ الأجربُ

معاشرة الأقارب

ما جاء في حسن معاشرة الأقارب قول بعضهم:

واخفض جناحك للأقارب كلهم　　　بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا　　　إن الكذوب يشين حراً يصحبُ

حفظ اللسان

وقد أحسن من قال في حفظ الكلام وتقييد اللسان:

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل نادٍ يَخطَبُ

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطبُ

والشر فاكتمه ولا تنطق به ... إن الزجاجة كسرها لا يقطبُ

وكذلك سر المرء إن لم يطوه ... نشرته ألسنةٌ تزيده وتكذب

النهي عن الظلم

ومن حكمهم البالغة في النهي عن الظلم وعواقبه الوخيمة:

واحذر من المظلوم سهما صائبا ... واعلم بأن دعاءه لا يحجب

بغض التطرف

جاءت الشريعة السمحة بالرحمة بين الناس وقامت على المحبة واستيعاب الآخر وطالبت الشريعة أتباعها بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن.

لكن التعصب والتطرف وضيق الأفق وقلة الوعي أذهب هذه المعاني الجميلة وأسكن بدلها ثقافة البغض التي دفعت بالخوارج إلى قتل خليفة المسلمين ابن عم المصطفى ﷺ وزوج ابنته فاطمة -رضوان الله عليها- ويعتقد هؤلاء الغلاة أنهم يتقربون إلى الله عز وجل بإراقة دم الأبرار فهذا (عمران بن حطان) يمدح (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله.

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لا ذكره يوما فأحبه أو في البرية عند الله ميزانا

أكرم بقول بطون الأرض أقبرهم لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فلما علم أبو الطيب الطبري بهذه الأبيات غضب ورد عليه ردا أشفي صدور قوم مؤمنين، فقال أبو الطيب الطبري:

إني لأبرأ مما أنت قائله في ابن ملجم الملعون بهتانا

إني لأذكره يوما فألعنه دينا وألعن عمران بن حطانا

عليك ثم عليه الدهر متصلا لعائن الله إسرارا وإعلانا

فأنتم من كلاب النار جاء لنا نص الشريعة برهانا وتبيانا

قتل الخوارج علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمير المؤمنين وحاولوا قتل معاوية بن أبي سفيان فلم يفلحوا ولكنهم جرحوه وأرسلوا وافدهم إلى مصر ليقتلوا عمرو بن العاص وقالوا لهذا الذي أرسلوه اقتل إمام المسجد في صلاة الفجر بمسجد الفسطاط فإنه عمرو بن العاص، لكن الله عز وجل أراد أن يُقتل غير عمرو حيث أنه في هذا اليوم أرسل عمرو خارجه للصلاة بالناس فكانت منيه خارجة رحمه الله. وقد نظمت امرأة في هذا شعرا وقالت ليتها إذ فدت عمرا بخارجة:

فدت عليا بمن شاءت من البشر فرت علياً عن شاءت من البشر

تعني المرأة بهذا الشعر يا ليت الذي قتَّلَ علي قتل من شاء من البشر وأبقى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كل كسوف في الدوارى شنيعُ ولكنه في البدر والشمس أَشنعُ


تمت

المحتويات

مركز خنساء فلسطين للدراسات والإبداع

مؤسسة تعليمية مهنية متخصصة في شئون المرأة لتطوير قدراتها ومواهبها وتأهيلها والارتقاء بمستواها الثقافي والتعليمي والمهني.

تأسست عام 1431هـ/ 2010م، لتحقيق مجموعة من الأهداف التالية:

1- التعرف على القدرات والمهارات والمواهب الإبداعية لدى المرأة والعمل على تقديم المساعدة لتطويرها وتنميتها والارتقاء بمستواها.

2- إعداد كوادر وقيادات نسوية تكون قادرة على أخذ دورها القيادي والريادي في المجتمع.

3- نشر الثقافة الإسلامية والوعي الديني لجمهور النساء، عبر الدورات والندوات الدينية والدروس الوعظية في المساجد وفروع المركز.

4- إعداد المسابقات الثقافية والدينية المختلفة وتقديم الهدايا والجوائز التشجيعية للفائزات من خلال احتفالات تكريمية ينظمها المركز.

5- شراء وتوزيع الكتب الدينية وإصدار النشرات العلمية وطباعة الكتيبات والدراسات والأبحاث الهادفة المتخصصة بشئون المرأة المسلمة.

6- نشر الثقافة الصحية وتنظيم الأيام الطبية المجانية وعقد دورات وندوات في الإسعافات الأولية والصحه العامه وطباعة وتوزيع النشرات الطبية المختلفة.

7- التعاون البناء مع جميع المؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث والدراسات التي تهتم بشئون المرأة بما يخدم أهدافها ويحقق تطلعاتها المستقبلية والعمل على رفع الظلم الواقع عليها والدفاع عن حقوقها في إطار الشريعة الغراء.

8- عقد الدورات والندوات وورش العمل بشكل مستمر في المجالات التالية:

أ. دورات دعوية، فقهية وشرعية.

ب. دورات الإعلام والصحافة والتصوير.

ج. دورات مهارات الإدارة المالية والقيادية.

د. دورات الصحة العامة والإسعافات الأولية.

هـ. دورات الأشغال اليدوية والحرف المهنية.

مدير المركز

أ. وليد حلس

الطبعة الأولى

2012